

دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

عنوان البحث

الميثاق في القرآن

رسالة ماجستير هيكل ب - فصل 1- تفرغ كامل.

في التفسير وعلوم القرآن

الطالب الفقير إلى الله تعالى

BELKACEM AMIRI

تحت إشراف السيد/الدكتور: أحمد نبيه حفظه الله

العام الجامعي : 1434هـ/2012م

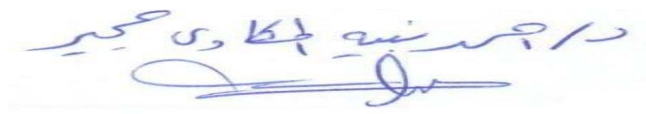
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا ببحث الطالب عبد الله نعمان من الآية أسماؤهم :

الأستاذ المساعد الدكتور / أحمد نبيه المكاوي

المشرف



الأستاذ المساعد الدكتور / حاتم منصور مزروعة

المناقش الداخلي



الأستاذ الدكتور / أحمد علي عبد العاطي

رئيس اللجنة



الأستاذ الدكتور / عبد الغني قمر جمعه

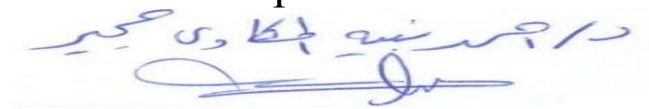
المناقش الخارجي



APPROVAL PAGE

The dissertation of ABDALLAH NOUAMANE has been approved by the following :

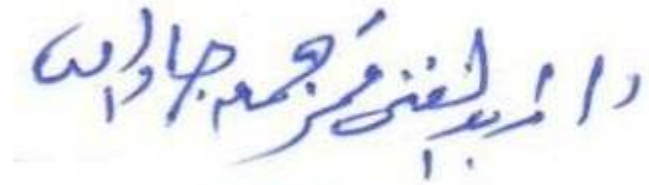
supervisor



Internal Examiner



External Examiner



Chairman



أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص , قمت بجمعه ودراسته , وقد عزوت النقل
والاقتباس إلى مصادره .

اسم الطالب

بلقاسم اعمرى

التوقيع

A photograph of a handwritten signature in Arabic script. The signature reads "بلقاسم اعمرى" (Balqasim Ameri) and is written in black ink on a light-colored background. Below the name is a stylized, circular flourish.

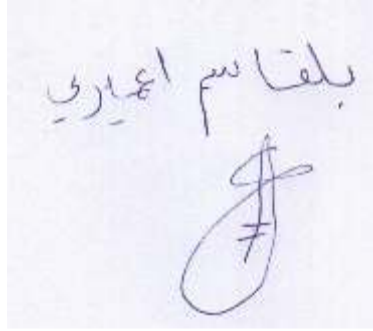
التاريخ

2\1\2013

ECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation , except where otherwise stated .

belkacem amiri

A photograph of a handwritten signature in Arabic script. The signature reads "Belkacem Amiri" and is written in black ink on a light-colored background. The signature is stylized and includes a large, circular flourish at the end.

Date

2013\1\2

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية

غير المنشورة

حقوق الطبع 2012 © محفوظة

- لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية :
1. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه .
 2. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الاستفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية , وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.
 3. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات, ومراكز لبحوث الأخرى .

أكد هذا الإقرار :

16-7-2012

بلفاسم اعجازي
7

.....

التاريخ

التوقيع

الميثاق في القرآن

قال الله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ
اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20))،
(العنكبوت).

شكر وتقدير

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح . كتاب العقيدة (الجزء رقم : 10) - ص 936.

تعجز الكلمات وتتوارى الحروف ويخجل القلم وتخونه العبارات وتشنت الجمل ويضيع المعنى ولا يصل الهدف. لكن أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة... إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة... إلى جميع الأساتذة الأفاضل..... كن عالما..... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

وأخص بالشكر والعرفان والفضل والامتنان : الدكتور أحمد نبيه المكاوي الذي تفضل بإشرافه على هذا البحث فجزاه الله عنا كل خير فله منا كل التقدير والاحترام. فأجزيه

يا رب عني وعن طلبة العلم خير الجزاء واجعلني من السائرين على خطاه إنك أنت
السميع العليم

أسأل الله تعالى في غرة هذا الشهر الكريم أن يوفق القائمين على هذا الصرح العالي (جامعة
المدينة العالمية) وأساتذتها الكرام

وسائر القائمين عليها لكل خير وأن يجازيهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأن يجعل
عاقبتهم إلى خير في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على
نبينا محمد وآله وصحبه.

اهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [سورة التوبة:

105]. صدق الله العظيم.

* قال الإمام الشافعي رحمه الله: "وددت أن الناس تعلموا هذه الكتب ولم ينسبوا إلي"، (صحيح ابن خزيمة ، 496/5). وقال: "ما نظرت أحداً قطُّ إلا على النصيحة"، وقال: "ما نظرت أحداً قطُّ إلا أحببت أن يُوفَّقَ ويُسدَّدَ ويُعان، ويكونَ عليه رعايةٌ من الله و حفظُ، وما نظرت أحداً إلا و لم أُبالِ بَيْنَ الله الحَقَّ على لساني أو لسانه"، (حلية الأولياء، 118/9).

وقال الشافعيُّ، أيضاً: "ما نظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علمٍ إلا وددت أنه عند كل أحدٍ ولا يُنسب إلي"، (تاريخ دمشق، 384/51).

* أحمد شاكر رحمه الله: "فسمعت كثيراً قال وقرأت كثيراً، ودرست أخبار العلماء والأئمة، ونظرت في أقوالهم وأدلتهم، لم أتعصب لواحد منهم، ولم أحد عن سنن الحق فيما بدا لي، فإن أخطأت فكما يخطئ الرجل، وإن أصبت فكما يصيب الرجل. أحترم رأيي ورأي غيري، وأحترم ما أعتقده حقاً قبل كل شيء وفوق كل شيء. فعن هذا قلت ما قلت واعتقدت ما اعتقدت..."، (مقدمته للرسالة، ص 8). تمنياتي في طلب

العلم . واعتقاد ي مواصلة السير في طلبه مهما كلفني ذلك.

*إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك (الله جل جلاله).
إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين .. سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ..

إلى كل من قرأ آيات الميثاق فاعتبر وأنتذر وعمل وأخذ بيد الآخرين لسلوك درب الصالحين.

إلي كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه

إلى كل من علمني حرفاً أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي . و لا أنسى مَنْ علّمني حرفاً
أن أكون له عبداً.

و كلّ مَنْ سَبَقني الطّريق و سيلحَقني إليها مِنْ طلابِ عِلْم لِحا معي التي تركتُ مذكّراتي
على مقاعدِها لكم جميعاً أهدي سَهري و تعبي و جَهدي

اللهم وفقنا توفيقاً يقينا عن معاصيك وأرشدنا إلى السعي فيما يرضيك وأجرنا يا مولانا

برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وعلم موزد كل مخلوق ومصدره، وأثبت في أم الكتاب ما أراده وسطره، فلا مؤخر لما قدمه، ولا مقدم لما أخره، ولا ناصر لمن خذله ولا خاذل لمن نصره، تفرّد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء، فمن نازعه ذلك أحقره، الواحد الأحد الرب الصمد، فلا شريك له فيما أبدعه وفطره، الحي القيوم فما أقومه بشؤون خلقه وأبصره، العليم الخبير فلا يخفى عليه ما أسرّه العبد وأضمره، أحمدّه على ما أولى من فضله ويسره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قبل توبة العاصي فعفا عن ذنبه وغفره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أوضح به سبيل الهداية ونوره، وأزال ظلمات الشرك وقتره، وفتح عليه مكة فأزال الأصنام من البيت وطهره، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان ما بلغ القمر بدره وسرره، وسلم تسليمًا.

أما بعد، فإن القرآن الكريم هو أصل الدين، ومنبع الصراط المستقيم وهو أجل الكتب وخاتمها، فقد أودع الله فيه سبحانه علم كل شيء، فهو أصل العلوم منه تستمد وعليه فيها يعتمد القرآن الكريم كلام الله جل وعلا، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله على رسوله ﷺ هداية للناس ومرشدًا إلى الصراط المستقيم، وتكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:9) .

ولقد قام رسول الله ﷺ بتبليغ هذا الكتاب وتعليمه لأمته حتى غدت على المحجة

البيضاء ليها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقام صحابته من بعده بحمل رسالة

الإسلام، مهتدين ومستمسكين بالقرآن العظيم والسنة المطهرة.

ولأن القرآن تنزل عليهم وسمعه من المصطفى ﷺ فقد كانوا خير من يفقهه ويعمل

بما فيه، ولذلك فقد أولوه جلّ عنايتهم، تعليمًا وتفسيرًا وتطبيقًا، ولا غرو في ذلك فهم

خير القرون وسادة الأمم وقدوة الأجيال.

وسار سلف هذه الأمة على ما سار عليه أولئك الرجال، وتتابع الأجيال جيلًا بعد

جيل تحمل هذا القرآن وتتسابق في بيانه، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه.

وعلى مرّ السنين والقرون، ومع ما بذل ويبدل نحو هذا الكتاب العزيز فإنه لا ينقضي عجائبه، ولا تفتى ذخائره، ولا تبلى روائعه، قوي البنيان، ثابت الأركان، واضح البيان.

ولقد تأملت في واقع أمتنا في هذا العصر، فرأيت أنها مهيضة الجناح، تتقاذفها الأمواج، وتميل بها الرياح، تلتفت يميناً وشمالاً تبحث عن منقذ لها، ومركب النجاة بين يديها، تأوي إلى الغرب وتهوي إلى الشرق ويتآمر عليها شرادم البشر وشرار الخليقة وعزتها ونصرتها ومنعتها باللجوء إلى كتاب ربها، ولكن يا ليت قومي يعلمون فيعملون.

وفي هذه السنوات رأيت كيف أصبحت الدول تعيش في قلق ومحن، وباتت الشعوب - وبالأخص الشعوب الإسلامية - لا تمن على حياتها وممتلكاتها، فلم يعد الإنسان يطمئن إلى ميثاق، توقعه في الصباح وتنقضه في المساء، أنشئت الهيئات والمنظمات الدولية، ولكنها أصبحت كلا على الضعفاء وسلاحاً فتاكاً بيد الأقوياء، وسادت شريعة الغاب ومملكة البحار، القوي يأكل الضعيف، والكبير يقضي على الصغير بل حتى على مستوى الأفراد والجماعات لم يعد للمواثيق احتراماً، إلا ما ندر ممن يؤمن بالله واتخذ القرآن له دستوراً وأماناً، وأدركت أن من أسباب شقاء هذه الأمة وبؤسها بعدها عن كتاب ربها، وعدم التزام كثير من أفرادها بمواثيقه، في العقيدة والسلوك والمعاملات والأخلاق والتقدير، ولذلك احتلت الموازين والقيم، وضعفت الأمة وامتلأت المحاكم والسجون، والأكثر حر طليق.

الغيب ما لا سبيل للإنسان إلى إدراكه، ولذلك نرجع إلى الدين ونصوص الوحي للتعرف على أحداث ووقائع وعوالم لا نعلم عنها شيئاً، وهي مع ذلك حقيقية وموجودة.

من ذلك ما اصطلح العلماء على تسميته ب: "ميثاق الذر"، أو عهد الذر فما هو هذا الميثاق وما قصته؟

الميثاق في القرآن:

يقول الله جل جلاله - في إشارة إلى هذا الميثاق - : (﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾)

﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾

في معنى الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم تبين أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق عليهم، مشهداً بعضهم على بعض، ومشهداً الإنسان على نفسه، أي أخذ بإقراره، فقال لهم سبحانه وتعالى: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟) فأجابوا: (بلى) وهذا قول جمهور العلماء والمفسرين و اتضح لنا أن هذا الميثاق ليس كافياً لإقامة الحججة على الخلق، بل إن الحججة تقوم بإرسال الرسل وإنزال الكتب: (لَأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء: 165)... (وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء: 15).

ولا تناقض بين الفطرة والميثاق، فلكل منهما دلالة ومعناه. ويشعر المسلم بوجوب الوفاء بهذا الميثاق الذي أخذه الله عليه في صلب أبيه آدم، حيث تأكد ذلك وتحقق برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يعد هناك عذر لمعتذر، أو حجة لجاحد أو غادر. أو متكابر. بل وشموله لجميع العصور والأزمنة، منذ أن خلق الله أبانا آدم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - وأخرج الذرية من ظهره فأخذ عليهم العهد والميثاق، إلى رسولنا ﷺ - وما جرى على يديه من عهود ومواثيق، وهكذا، إلى أخصّ أمور الناس كحديثه عن الميثاق في العلاقات الزوجية، وعلاقة الابن بأبيه كقصة يعقوب وبنيه.

لهذا اهتم علماء أمتنا بخدمته ودراسته وتفسيره من أجل استدرار كنوزه وكشف أسرارهِ فكثرت تفاسيرهم وتنوعت أنواعها. ولكل منها خصائص اختصت بها وميزات امتازت بها عن غيرها، فحصل من كل نوع ما حصل من الفوائد الجمّة والكنوز العظيمة.

وعندما شرفني ربي حل وعلا بإكمال دراستي في الدراسات العليا بكلية

العلوم الإسلامية وتحديداً في قسم التفسير وعلوم القرآن. [وقد بلغت من الكبر 9
6 سنة]. له الحمد والشكر على هذا التشريف والله أسأل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل.

سبب اختياري للموضوع:

لقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع عوامل عدة لعل من أهمها:

- 1- إعجابي الشديد وحي لمادة التفسير وعلوم القرآن الكريم.
 - 2- أهمية الموضوع وخاصة لما رأيت من تشجيع من أستاذي المحترم الدكتور أحمد نبيه حفظه الله.
 - 3- جمعت كتب التفاسير والمراجع التي أعانتي في بحثي هذا
 - 4- رغبتي في نفع نفسي علّ الله أن يمن علي بالتوفيق
- من أجل أن يكون موضوع بحثي من أنفع الموضوعات وأشرفها
أسأل الله أن يعينني لتقديمه على المستوى المنهجي العلمي الراقى إنه سميع مجيب.

فهذه رسالة

بيّنت فيها بتوفيق الله تعالى : (الميثاق في القرآن)

دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن.

التفسير وعلوم القرآن

رسالة ماجستير هيكل ب - فصل 1 - تفرغ كامل في التفسير وعلوم القرآن

الاسم: BELKACEM AMIRI

رقم الطالب: MTF103AH016

البرنامج الدراسي (Coursework + Thesis) MTF-BF Master in Tafsir And 'Ulum Al-Qur'an

Full Time - ماجستير في التفسير وعلوم القرآن (مواد دراسية + بحث تكميلي) -

متفرغ

الموسم الدراسي 2010 SEP :

المركز التعليمي Morocco : المغرب

نوع الدوام F :

الجنسية: Algeria :

رقم الهاتف: 0662046485 :

اسم الباحث: BELKACEM AMIRI

Mtf103ah016

تحت إشراف: الأستاذ الدكتور أحمد نبيه المكاوي حفظه الله.

كلية العلوم الإسلامية - قسم التفسير

العام الجامعي: سبتمبر الثلاثاء 29 شوال 1432 هـ - 27 سبتمبر 2011 م

1-عنوان البحث :

- الميثاق في القرآن -

2-المقدمة:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، و علم مورد كل مخلوق و مصدره، و أثبت في أم الكتاب ما أراد و سطره فلا مؤخر لما قدمه و لا مقدم لما أخره، و لا ناصر لمن خذله و لا خاذل لمن نصره، تفرد بالملك و البقاء و العزة والكبرياء، فمن نازعه ذلك أحقره الواحد الأحد الرب الصمد، فلا شريك له فيما أبدعه و فطره، الحي القيوم فما أقومه بشؤون خلقه و أبصره، العليم الخبير فلا يخفى عليه ما أسرّه العبد و أضمره، أحمدته ما أولى من فضله و يسره .

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،قبل توبة العاصي فعفا عن ذنبه و غفره، و أشهد ان محمدا عبده و رسوله الذي أوضح به سبيل الهداية و نورّه، و أزال ظلمات الشرك و قتره، و فتح عليه مكة فأزال الأصنام من البيت و طهره، صلى الله عليه و على آله و أصحابه الكرام البررة، و على التابعين لهم بإحسان ما بلغ القمر بدره و سرره، و سلم تسليمًا. أما بعد، فإن القرآن الكريم هو أصل

الدين، ومنبع الصراط المستقيم وهو أجلُّ الكتب وخاتمها، فقد أودع الله فيه سبحانه علم كل شيء، فهو أصل العلوم منه تستمد وعليه فيها يعتمد. وسار سلف هذه الأمة على ما سار عليه أولئك الرجال، وتتابع الأجيال جيلاً بعد جيل تحمل هذا القرآن وتتسابق في بيانه، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه. وعلى مرّ السنين والقرون، ومع ما بذل ويبدل نحو هذا الكتاب العزيز فإنه لا ينقضي عجائبه، ولا تفنى ذخائره، ولا تبلى روائعه، قوي البنيان، ثابت الأركان، واضح البيان.

الغيب ما لا سبيل للإنسان إلى إدراكه، ولذلك نرجع إلى الدين ونصوص الوحي للتعرف على أحداث ووقائع وعوالم لا نعلم عنها شيئاً، وهي مع ذلك حقيقية وموجودة. من ذلك ما اصطاح العلماء على تسميته ب: "ميثاق الذر"، أو "عهد الذر"، هذا الميثاق الذي تناوله القرآن الكريم ولم يقتصر فيه على جانب معين، بل إنه تحدث عن الميثاق في جوانب التوحيد والعبادة، وتحدث عنه في جانب العلاقات الدولية وهكذا، إلى أحصّ أمور الناس كحديثه عن الميثاق في العلاقات الزوجية، وعلاقة الابن بأبيه كقصة يعقوب وبنيه.

ومن هنا ولتخصصي في التفسير و علوم القرآن و لأهمية هذا الميثاق في السمو بالأمة و الرقي بها إلى أعلى المراتب و ذلك عند الإلتزام به و احترامه لكن للأسف الشديد ففي وقتنا الحاضر لم يعد للعهد مكانا و لا للمواثيق احتراماً إلا ما ندر ممن يؤمن بالله واتخذ القرآن له دستوراً وأماناً و أدركت أن من أسباب بؤس الأمة و شقائها هو بعدها عن كتاب ربها، وعدم التزام كثير من أفرادها بمواثيقه، و انطلاقاً من كل هذا جاء اختياري لموضوع الميثاق في القرآن الكريم . فما هو هذا الميثاق؟ وما قصته؟

3- مشكلة البحث:

- ما هو مفهوم الميثاق؟

- وما معنى كلمة الميثاق في القرآن و السنة؟ و ماهي مجالات استعمال مصطلح الميثاق؟

- و ما هي المواثيق التي ذكرت في القرآن الكريم؟

- ما حكم الوفاء بالميثاق و ماهي أحكامه؟

كل هذه التساؤلات و الإشكاليات هي محل المناقشة و المحور الذي يدور عليه البحث الذي اخترته

4- أهداف البحث : هدي من هذا البحث هو عرض قضية الميثاق في القرآن الكريم و السنة المطهرة و دراسة بعض القضايا القرآنية دراسة موضوعية . وكذا من بين الأهداف التي صبوت إليها من خلال بحثي هذا هو التحقيق في معنى الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم و تبين أن الله أخرج ذرية آدم من ظهرهم وأخذ الميثاق عليهم، مشهدا بعضهم على بعض، و مشهداً الإنسان على نفسه، أي أخذ بإقراره، فقال لهم سبحانه وتعالى: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) (الأعراف: من الآية 172) فأجابوا: (بلى) (الأعراف: من الآية 172) وهذا قول جمهور العلماء والمفسرين .

5 - الدراسات السابقة:

- من بين أهم الكتب التي اطلعت عليها و أنا بصدد تحضير بحثي هذا هي:

التفسير المنير في العقيدة والشريعة للدكتور وهبة الزحيلي و كذا تفسير الرازي و القرطبي... المصحف الشريف. الطبري. التحرير والتنوير. تفسير بن كثير. تفسير الكشاف. تفسير الثعالبي. تفسير المنار. البحر المحيط. اضواء البيان. لباب التأويل. ناصر العمر روح المعاني. زاد المسير لسان العرب. تهذيب اللغة. مسند الإمام أحمد. صحيح البخاري. شرح العقيدة. موطأ مالك. مجمع الزوائد. شرح أصول عقائد أهل السنة والجماعة. البداية والنهاية. سيرة بن هشام. المعجم الوسيط. سنن الترمذي. معجم مقاييس اللغة. بصائر ذوي التمييز. المشكاة. الصحاح.

و قد جاء فيهم و أن الميثاق إنما يكون بفعل الأمور التي توجب الانقياد والطاعة ، وقد ذكر المفسرون في تفسير الميثاق وجوهاً ، أحدها : ما أودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته والدلائل الدالة على صدق أنبيائه ورسله ، وهذا النوع من المواثيق أقوى المواثيق والعهود لأنها لا تحتمل الخلف والتبديل بوجه ألبتة . و المراد بهذا الميثاق حججه القائمة على عباده الدالة لهم على صحة توحيدهم وصدق رسله فكان ذلك ميثاقاً وعهداً على التمسك بالتوحيد .

و أضيف أيضاً أنه من خلال تدبري بين الكتب و المراجع التي اطلعت عليها و في آيات الميثاق وجدت أن هذا القرآن العظيم يضع الأساس لحياة الناس لحظةً بلحظةً وساعةً بساعةً، موجهاً ومنقذاً، ومبشراً و معاتباً و معاقباً ، يُحيط الناس بعنايته ، هذا يَعِدُّهُ وذاك يتوعِّده، علمه و يريبه .

و بناء عليه ارتأيت أن أتحدث في بحثي هذا عن ميثاق تربوي، سياسي، اقتصادي، اجتماعي، عبادي ... الخ و أتمنى أن أوفق فيه .

بيان الفارق وما الجديد في البحث: (الفارق – والجديد معا)

الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمار، عنوانه العهد والميثاق. وعنوانه الميثاق في القرآن الكريم. ركز على العهد وركزت على الميثاق ولم أتعرض للعهد إلا ما كان مقترنا بالميثاق.

ولعل التقارب بين الموضوعين هو [المراجع] نفسها نشرب من كأس واحد.

الفرف بين الموضوعين آيات قرآنية مرتبة ومفسرة للميثاق - منها مخاطبة الله لبني إسرائيل (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (48) البقرة.

ولما تركوا العمل بالتوراة قال فيهم (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ
الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ (5) الجمعة.

ولما انخرفوا وعصوا واعتدوا قال في حقهم (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ
اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ). ثم ذكر سبب ذلك
التغيير (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112) آل عمران.

كما تحدث القرآن الكريم عن الأمة المسلمة واصفا إياها (كنتم خير أمة أخرجت للناس)
على أساس (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).-110 الآية-البقرة.
ووصف خيرها باجتنابها للإثم والفواحش واستجابتها لربها وقيامها بالصلاة وسياسيتها
بالشورى ودفعها للزكاة وردها للعدوان والظلم. حيث قال (وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ
وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ
شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ(39)
الشورى.

ووصف مؤمنينا حيث قال : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ(29) الفتح.

فإذا انخرف المسلمون عن منهج الله وعصوا واعتدوا وارتدوا فلن يكونوا اكرم على الله
من بني إسرائيل ومضى فيهم قانون الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
(54) المائدة.

وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217) البقرة.

والله سبحانه وتعالى يعامل الناس جميعا بميزان واحد وهو بالمرصاد لكل من سلك طريق
الشر والفساد حيث قال: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرِمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ
يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ
(10) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ (14) الفجر.

وسنة الله سبحانه لا تحاب أحدا ولم تحاب أحدا. وسنته ماضية في المسلمينو أهل الكتاب
سواء بسواء حيث قال: (لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ
بِهِ) النساء: 123.

/ الجديد

كيف هي حالة الأمة الآن وما آلت إليه من عهد وميثاق وذل وانحطاط صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال (حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ حَدَّثَنَا
يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ
بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ
مَرَجَتْ عُهْدُهُمْ وَخَفَتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ
كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ الزَّمِ بَيْتَكَ وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ بِمَا
تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةٍ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ).

6 - منهجي في البحث :

- سأعتمد على الآيات التي ورد فيها لفظ الميثاق .

- سأحاول تخريج الأحاديث من كتب السنة المعتبرة، وسأبين درجة كثير منها، صحة وضعفًا حسب قوة الاستدلال في الحديث ومكان وروده ودواعي الاستشهاد به.
- سأحاول قدر الإمكان أن اعتمد على مصادر أصيلة و دون أن ألتجأ إلى البديل من المراجع إلا إذا كانت طبيعة النص تسمح لي بذلك.
- سألتزم بترقيم الآيات و عزوها إلى سورها .
- كما سأدير مباحث هذا البحث بين الإيجاز و الاطناب كونهما من فنون البلاغة .دراسة موضوعية و منهج تحليلي.
- سأذيل الرسالة بفهارس علمية كالتالي:
 - أ- فهرس الآيات القرآنية.
 - ب- فهرس الأحاديث النبوية.
 - ج- فهرس المصادر والمراجع.
 - د - فهرس الموضوعات.

7 - هيكل البحث :

سأتناول في بحثي العناصر الآتي ذكرها:

- أولاً: التعريف بالميثاق .
- ثانياً: الموثيق التي وردت في القرآن الكريم .
- ثالثاً: مجالات استعمال مصطلح الميثاق .
- رابعاً: الوفاء بالميثاق .

8 - تقسيمات الرسالة :

لقد ارتأيت أن أقسم بحثي إلى مباحث ومطالب، لأن ذلك هو الأقرب وتحت كل مبحث مطالب وقد جاء البحث في أربعة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول: التعريف بالميثاق

وقد اشتمل هذا المبحث على ما يتعلق بمعنى الميثاق، ووروده في القرآن الكريم، و في السنة النبوية ولذلك فقد جاء هذا المبحث كما يلي :

المطلب الأول: الميثاق في اللغة.

المطلب الثاني: الميثاق في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : الميثاق في السنة النبوية الشريفة

المطلب الرابع : الأسلوب القرآني في عرض قضية الميثاق.

المبحث الثاني: المواثيق التي وردت في القرآن الكريم:

و سأدرس في هذا المبحث المواثيق التي ذكرت في القرآن الكريم دراسة

توثيقية حيث اشتمل على دراسة المواثيق في المطالب التالية:

المطلب الأول : الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم.

المطلب الثاني : الميثاق الذي أخذه الله على النبيين.

المطلب الثالث : الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل.

المطلب الرابع : المواثيق التي جرت في عهد الرسول ﷺ - .

المبحث الثالث: مجالات استعمال مصطلح الميثاق:

وقد ذكرت فيه المجالات التالية:

المطلب الأول : العقيدة.

المطلب الثاني : العبادات .

المطلب الثالث : الأخلاق.

المطلب الرابع : المعاملات.

المبحث الرابع: الوفاء بالميثاق:

ويشتمل هذا المبحث على المطالب التالية:

المطلب الأول : حكم الوفاء بالميثاق.

المطلب الثاني: آثار الوفاء بالميثاق.

المطلب الثالث: آثار نقض الميثاق.

9-خاتمة:

و سأختم بحثي هذا بخاتمة: ألخص فيها أبرز النتائج التي أتوصل إليها من خلال البحث .

10-الفهارس: و هي التي تخدم البحث وتسهل الاستفادة منه .

1 - فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الأحاديث النبوية

3- فهرس المصادر والمراجع - فهرس المصادر والمراجع

1	المصحف الشريف.
2	تفسير الرازي.
3	تفسير الماوردي
4	تفسير الطبري.
5	تفسير القرطبي
6	التحرير والتنوير.
7	تفسير بن كثير
8	تفسير الكشاف

9	تفسير الثعالبي
---	----------------

تفسير المنار	10
البحر المحيط	11
اضواء البيان	12
تفسير وهبة الزحيلي	13
لباب التأويل	14
كتب الأستاذ ناصر العمر	15
روح المعاني	16

زاد المسير	17
لسان العرب	18
تهذيب اللغة	19
مسند الإمام أحمد	20
صحيح البخاري	21
شرح العقيدة	22
موطأ مالك	23
مجمع الزوائد	24

شرح أصول عقائد أهل السنة والجماعة	25
البداية والنهاية	26
سيرة بن هشام	27
المعجم الوسيط	28
سنن الترمذي	29
معجم مقاييس اللغة	30
بصائر ذوي التمييز	31

المشكاة	32
الصحاح	33

4- فهرس الموضوعات

11- صفحة (قرار توصية اللجنة)، وتوقيعات لجنة المناقشة-

-1

- 2

-3

المبحث الأول:

وقد اشتمل على ما يتعلق بالميثاق، في القرآن الكريم - (وكلمة الميثاق ومعناها في القرآن الكريم)، وألحقت بذلك أمثلة من ورود الميثاق في السنة النبوية إتماماً للفائدة ولذلك فقد جاء هذا المبحث كما يلي:

المطلب الأول: الميثاق في اللغة.

قال ابن فارس: وَثَقَ: الواو والثاء والقاف كلمة تدلّ على عَقْد وإِحْكَام، وَوَثَّقْتُ الشيء: أَحْكَمْتَهُ، وناقاة موثّقة الخلق.
والميثاق: العَهْد المحكم⁽¹⁾ وقال الفير وزآبادي: الميثاق: عَقْدٌ يُوَكِّدُ بيمين وعَهْد، وأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف⁽²⁾

1 - معجم مقاييس اللغة مادة (وثق) 85/6.

2 - بصائر ذوي التمييز 158/5.

وجاءت لفظة (وَتَّقَ) وما اشتق منها على عدة معاني، منها:

- قال الأزهري: الوثاقَة: مصدر الشيء الوثيق المحكم، والفعل اللازم: وُتِّقَ وثاقَة فهو وثيق (3)

- والوثاق: اسم الإيثاق، تقول: أوثقتُهُ إيثاقاً ووثاقاً، والحبل أو الشيء يُوثق به: وثاق. والجميع: الوثق، منزلة الرباط والربط (4)

- والوثيقة في الأمر: إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع: الوثائق (5)
والموثق والميثاق: العهد، والجمع: الموثيق على الأصل، وفي المحكم: والجمع: الموثق (6)

- والموثقة: المعاهدة (7)

- والثقة: مصدر قولك: وِتَّقَ به يَتَّق - بالكسر فيهما - وثاقَة، وِتَّقَة: ائتمنه، وأنا واثق به، وهو موثوق به (8) والذي يعيننا في هذا البحث ما كان بمعنى اليمين والموثق والعهد المحكم، دون ما سوى ذلك مما يتعلق بهاتين الكلمتين أو اشتقاقهما من معان أخرى أيضاً:

والميثاقُ العهدُ، صارت الواو ياءً لانكسار ما قبلها.
والجمع الموثيقُ على الأصل، والميثاقُ والميثاقُ أيضاً.

3 - تهذيب اللغة مادة (وثق) 266/9.

4 - تهذيب اللغة مادة (وثق) 266/9؛ ولسان العرب مادة (وثق) 371/10.

5 - تهذيب اللغة مادة (وثق) 266/9، ولسان العرب مادة (وثق) 371/10.

6 - الصحاح مادة (وثق) 1563/4؛ ولسان العرب مادة (وثق) 371/10.

7 - الصحاح مادة (وثق) 1563/4؛ وتهذيب اللغة مادة (وثق) 266/9.

8 - لسان العرب مادة (وثق) 371/10؛ وتاج العروس مادة (وثق) 84/7.

وأُنشد ابنُ الأعرابيِّ:

ولا نَسألُ الأَقوامَ عَهْدَ المِثاقِ حِمىً لا يُحِلُّ الدَهْرَ إلاَّ بِإِذْنِنا (في اللسان وشرح

القاموس مادة (وثق)

والموثقُ: الميثاق.

والموثقةُ المعاهدةُ.

ومنه قوله تعالى: "وميثاقه الذي واثقكم به".

والوثيق: الشيء المحكم والجمع وثاق وقد وثق بالضم وثاقَةً، أي صار وثيقاً.

ويقال: أخذ بالوثيقة في أمره، أي بالثقة.

وتوثق في أمره مثله.

ووثقت الشيء توثيقاً فهو موثق.

المطلب الثاني: الميثاق في القرآن الكريم .

وردت لفظة الميثاق وما في معناها (29) مرة في (25) آية من كتاب الله في عشر سور

من سور القرآن الكريم (9) .

1- ﴿الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)﴾ [البقرة: 27] .

9 - لم أتعرض لكلمة "الوثاق" و"لا الوثقى"، لأنها ليست في معنى الميثاق فاقترنت على أساس الموضوع وتفصيل هذه الآيات كما يلي: سورة البقرة: الآيات 27،

63، 83، 84، 93؛ سورة آل عمران: الآيتان 81، 187؛ سورة النساء: الآيات 21، 90، 92، 154، 155؛ سورة المائدة: الآيات 7، 12، 13، 14، 70؛

سورة الأعراف: الآية 169؛ سورة الأنفال: الآية 72؛ سورة يوسف: الآيتان 66، 80؛ سورة الرعد: الآيتان 20، 25؛ سورة الأحزاب: الآية 7؛ سورة الحديد:

الآية 8.

2- (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63)) [البقرة: ٦٣] .

3- (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (83)) [البقرة: ٨٣] .

4- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَسْهَوُونَ (84)﴾ [البقرة: ٨٤] .

5- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)﴾ [البقرة: ٩٣] .

6- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)﴾ [العمران: ٨١] .

7- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187)﴾ [العمران: ١٨٧] .

8- (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21) [النساء: ٢١] .

9- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90)﴾

[النساء: ٩٠] .

10- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92) ﴿ [النساء: ٩٢]

11- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154) ﴿ [النساء: ١٥٤] .

12- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) ﴿ [النساء: ١٥٥] .

13- ﴿...﴾ [المائدة: ٧]

14- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) ﴿ [المائدة: ١٢] .

15- ﴿فَبِمَا نَضَيْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)﴾ [المائدة: ١٣] .

16- ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)﴾ [المائدة: ١٤] .

17- ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70)﴾ [المائدة: ٧٠] ..

18- ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَجَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169)﴾ [الاعراف: ١٦٩]

19- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72)﴾ [الانفال: ٧٢] .

20- قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِنْ لَا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66) يوسف .

21- فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80) يوسف .

22- ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (20) ﴿[الرعد: ٢٠] .

23- ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (25) ﴿[الرعد: ٢٥] .

24- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (7) ﴿[الاحزاب: ٧] .

25- ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتُوا مِنْونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (8) ﴿[الحديد: ٨]

كلمة الميثاق ومعناها في القرآن الكريم.

وسأذكر المعاني التي وردت فيها مع ذكر الآيات التي وردت في كل معنى من معانيها.

1- ورد الميثاق بمعنى العهد الذي أخذه الله على عباده:

1- ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (27) ﴿[البقرة: ٢٧] .

قوله تعالى: (من بعد ميثاقه) الميثاق: العهد المؤكّد باليمين، مفعالٌ من الوثاقَة والمعاهدة، وهي الشدّة في العقد والرّبط ونحوه. والجمع الموثائق على الأصل، لأنّ أصل ميثاق موثاق، صارت الواو ياءً لائكسار ما قبلها- والميثاق والميثاق أيضاً، وأنشد ابن الأعرابي: حِمَى لَأَيْحَلَّ الدَّهْرَ إِلَّا بِأَذُنِّنا ... وَلَنَسْأَلُ الْأَقْوَامَ عَهْدَ «1» الميثاقِ وَالموثيقِ: الميثاق. وَالموثاقَةُ: المعاهدة، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَمِيثَاقُهُ الَّذِي وَاتَّقكُمْ بِهِ".

(1). في اللسان وشرح القاموس مادة (وثق): (عقد الميثاق) والبيت لعياض بن درة الطائي.

قال القرطبي: الميثاق: العهد المؤكّد باليمين (10).

وقال الماوردي: وفي الكناية التي في ميثاقه قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى اسم الله، وتقديره من بعد ميثاق.

والثاني: أنها كناية ترجع إلى العهد، وتقديره، من بعد ميثاق العهد (11).

2- ورد الميثاق بمعنى ما أخذه الله على بني إسرائيل من عهد وميثاق:

قال تعالى في سورة البقرة: 2- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63)﴾ [البقرة: 63] الخطاب بهذه الآية لليهود . والميثاق : مفعال من التوثق بيمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول .

وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوال . أحدها : أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، فكرهوا الإقرار بما فيها، فرفع عليهم الجبل، قاله مقاتل . قال أبو سليمان الدمشقي : أعطوا الله عهداً ليعملنَّ بما في التوراة، فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من التثقل، امتنعوا من أخذها، فرفع الطور عليهم .

والثاني : أنه ما أخذه الله تعالى على الرسل وتابعيهم من الإيمان . بمحمد صلى الله عليه وسلم، ذكره الزجاج .

والثالث : ذكره الزجاج أيضاً، فقال : يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذرية من ظهر آدم .

قوله تعالى : { ورفعنا فوقكم الطور } قال أبو عبيدة : الطور في كلام العرب : الجبل . وقال ابن قتيبة : الطور : الجبل بالسريانية . وقال ابن عباس . ما أنبت من الجبال فهو طور، و ما لم ينبت فليس بطور .

وأبي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوال . أحدها : جبل من جبال فلسطين، قاله ابن عباس . والثاني : جبل نزلوا بأصله، قاله قتادة .

والثالث : الجبل الذي تجلى له ربه، قاله مجاهد .

وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة . وقال السدي : لإبائهم دخول الأرض المقدسة .

قوله تعالى : { خذوا ما آتيناكم بقوة } .

وفي المراد بالقوة أربعة أقوال .

أحدها : الجد والاجتهاد، قاله ابن عباس وقتادة والسدي .

والثاني : الطاعة، قاله أبو العالية .

والثالث : العمل بما فيه، قاله مجاهد .

والرابع : الصدق، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : { واذكروا ما فيه } فيه قولان . أحدهما : اذكروا ما تضمنه من الثواب

والعقاب، قاله ابن عباس .

والثاني : معناه : ادرسوا ما فيه، قاله الزجاج .

قوله تعالى : { لعلكم تتقون } قال ابن عباس : تتقون العقوبة .

قال مقاتل : إنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة . وقال أبو سليمان الدمشقي :

أعطوا الله عهدا ليعملن بما في التوراة (12) .

ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة - أيضا - : 3 ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿83﴾

[البقرة: ٨٣] قال ابن عاشور: أعطوا الميثاق لموسى على امتثال ما أنزل الله من التوراة

(13) .

12 - زاد المسير 93/1 .

13 - التحرير والتوير 582/1 .

والآية التي بعدها: 4 {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)} [البقرة: ٨٤] هو الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل في العمل بالتوراة (14).

وفي معنى الميثاق الذي ورد في الآيات السابقة جاء في قوله تعالى من سورة البقرة: 5- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأُ مُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)﴾ [البقرة: ٩٣] وقد سبق ذكر أقوال بعض المفسرين في الآية [63] لأن اللفظ والمعنى واحد (15)

وفي سورة آل عمران: 7- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِعَسَ مَا يَشْتَرُونَ (187)﴾ [ال عمران: ١٨٧] .

فالميثاق هنا هو ما أخذه عليهم بالإيمان بالتوراة وفيها وصف محمد ﷺ (16). وفي سورة النساء: 11- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154)﴾ [النساء: ١٥٤] .

وكذلك قوله في الآية التي بعدها: 12- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيرٍ حَقٌّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155)﴾ [النساء: ١٥٥] .

فالميثاق في الآيتين هو الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل. قال القرطبي: أي بسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ منهم وهو العمل بما في التوراة (17).

14 - انظر تفسير ابن كثير 120/1.

15 - انظر تفسير ابن كثير 126/1.

16 - انظر تفسير القرطبي 93/1.

وقال تعالى في سورة المائدة: 14- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)﴾ [المائدة: ١٢] .

فالميثاق هنا هو ما أخذ على بني إسرائيل من وجوب طاعة الله والعمل بما في التوراة (18).

والميثاق في الآية التي بعدها هو معنى الميثاق في الآية الأولى، 15- ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)﴾ [المائدة: ١٣] قال ابن كثير: فسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم (19).

وفي سورة المائدة - أيضا - قال الله تعالى: 16- ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70)﴾ [المائدة: ٧٠] ..

قال ابن كثير: يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك العهود والمواثيق (20).

قال الزجاج: واليهود هم الذين كذبوا وقتلوا الأنبياء، أما النصارى فقد كذبوا فقط (21).

17 - تفسير القرطبي 7/6؛ وانظر تفسير ابن كثير 573/1.

18 - انظر زاد المسير 310/2.

19 - تفسير ابن كثير 33/2.

20 - تفسير ابن كثير 2/.

21 - زاد المسير 399/2؛ وانظر التحرير والتنوير 272/6.

وقال تعالى في سورة الأعراف: 18- ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَجَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) ﴾ [الأعراف: 169] والميثاق هنا هو ما أخذه على بني إسرائيل من الإيمان بالتوراة كما سبق (22).

قال ابن عاشور: والميثاق: العهد، وهو وصية موسى التي بلغها إليهم عن الله تعالى في مواضع كثيرة (23).

3- وورد الميثاق دالا على ما أخذه الله على النبيين من عهد وميثاق: قال تعالى في سورة آل عمران: 6- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (آل عمران: من الآية 81).

قال القرطبي: قيل: أخذ الله ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا، ويأمر بعضهم بالإيمان بعضا (24). وكذلك جاء في سورة الأحزاب: 24- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب: 7).

قال ابن كثير: أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق (25).

4- وجاء الميثاق بمعنى عقد النكاح: قال تعالى في سورة النساء: 8- ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء: من الآية 21). قال مجاهد وابن زيد: هو عقد النكاح وقول الرجل نكحت وملك (26).

22 - انظر تفسير القرطبي 312/7؛ وتفسير ابن كثير 260/2.

23 - التحرير والتنوير 163/9.

24 - تفسير القرطبي 124/4.

25 - تفسير ابن كثير 469/3؛ وانظر تفسير الماوردي 307/3.

26 - تفسير القرطبي 103/5.

وقال ابن كثير: روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير أن المراد بذلك العقد (27).

5- وجاء الميثاق بمعنى العقود والعهود والمواثيق التي عقدها رسول الله ﷺ مع بعض المشركين:

قال تعالى في سورة النساء. 9- (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) (النساء: من الآية 90).

قال مجاهد وابن زيد لا تقتلوا قوما بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد فإنهم على عهدهم.

قال القرطبي: وهو أصح ما قيل في معنى الآية (28).

وكذلك جاء في المعنى نفسه قوله تعالى في سورة النساء - أيضا - : 10- (وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ) (النساء: من الآية 92).

قال ابن كثير: فإن كان القتييل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتييلهم (29). وقال الشافعي: كل من له أمان بذمة أو عهد (30).

وقال الحسن: هم أهل عهد رسول الله ﷺ من العرب خاصة. وقال في سورة الأنفال: 19 (وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) (الأنفال: من الآية 72).

قال ابن عباس: ... إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أي مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم (31).

27 - تفسير ابن كثير 467/1.

28 - تفسير القرطبي 308/5.

29 - تفسير ابن كثير 535/1.

30 - تفسير الماوردي 416/1.

31 - تفسير ابن كثير 329/2.

وقال ابن الجوزي: إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تغدروا بأرباب العهد (32).

6- وجاء الميثاق بمعنى البيعة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ عليها: قال تعالى في سورة المائدة: 13- (وَأذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) (المائدة: من الآية 7).

قال القرطبي: الذي عليه جمهور المفسرين كابن عباس والسدي هو العهد والميثاق الذي جرى لهم مع النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه إذ قالوا سمعنا وأطعنا، كما جرى ليلة العقبة وتحت الشجرة (33).

وقال ابن كثير: هو ما أخذه عليهم من العهد والميثاق في مبايعة الرسول ﷺ على متابعته ومناصرتة ومؤازرته، وهذه البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله ﷺ عند إسلامهم (34).

7- وجاء الميثاق دالا على ما أخذه على النصارى من عهد وميثاق على لسان عيسى ابن مريم - عليه السلام -:

قال تعالى في سورة المائدة: 16- (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) (المائدة: من الآية 14).

قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق كما أخذ من أهل التوراة (35).

وقال ابن كثير: أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﷺ ومناصرتة ومؤازرته.. وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض (36).

8- وجاء الميثاق بمعنى العهد الذي كان بين يعقوب وبنيه:

32 - زاد المسير 386/3.

33 - تفسير القرطبي 108/6.

34 - انظر تفسير ابن كثير 30/2.

35 - زاد المسير 315/2.

36 - تفسير ابن كثير 33/2.

قال تعالى في سورة يوسف: 20- (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)
(يوسف:66).

قال السدي: أنه حلفهم بالله (37).

وقال ابن كثير: أي تحلفون بالعهد والمواثيق (38).

والآية الأخرى في المعنى نفسه: 21- (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) (يوسف: من الآية80).

قال القرطبي: أي عهدا من الله في حفظ ابنه (39).

9- وجاء الميثاق بمعنى العهد والعقد مطلقا مما يكون بين الخلق وخالقهم أو بعضهم مع بعض:

قال تعالى في سورة الرعد: 22- (الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ)
(الرعد:20).

قال النسفي: ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد (40).

وقال القرطبي: يحتمل أن يريد به جنس المواثيق، أي: إذا عقدوا في طاعة الله عهد لم ينقضوه (41).

وفي المعنى نفسه جاء قوله تعالى في سورة الرعد - أيضا -: 23 (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) (الرعد: من الآية25). فالميثاق في هذه الآية في معنى الميثاق في الآية السابقة حيث إن الآيتين متقابلتان (42).

37 - تفسير الماوردي 287/2.

38 - تفسير ابن كثير 484/2.

39 - تفسير القرطبي 242/9.

40 - تفسير النسفي 409/2.

41 - تفسير القرطبي 307/9.

10- وورد الميثاق بمعنى ما أخذه الله على ذرية آدم وهم في صلب أبيهم:
قال تعالى في سورة الحديد: 25 (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ
لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الحديد: 8) .
قال مجاهد: هو الميثاق الأول الذي كان وهم في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم
سواه (43).

هذه هي الآيات التي وردت في القرآن الكريم بلفظ العهد أو الميثاق، وقد بينت معاني هذه
الآيات حسب ورودها مستدلاً بأقوال المفسرين حسب ما ترجح لدي منها معرضاً عن
ذكر الخلاف أو التفصيل في ذلك، التزاماً بالمنهج الذي ذكرته. ومدار البحث في الفصول
القادمة على ما كان بمعنى اليمين والموثق والعهد المحكم، وما يتصل بهذا المعنى، مما أخذه
الله على عباده من آدم - عليه السلام - إلى نبينا محمد ﷺ. - أن درجات الأنبياء أعلى
وأشرف من درجات الأمم.

- الراجح بان الله أخذ على النبيين الميثاق والأنبياء يأخذون الميثاق على أممهم.
أختلاف العلماء.

42 - تفسير القرطبي 314/9.

43 - انظر تفسير الطبري 218/27؛ وتفسير القرطبي 238/17.

المطلب الثالث: الميثاق في السنة النبوية الشريفة (44).

كلمة الميثاق في الأحاديث النبوية:

روى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في حديث طويل وفيه قصة الرجل - آخر أهل الجنة دخولا - حيث يسأل الله تعالى وفيه: " فلا يزال يدعو، فيقول - الله - لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواريق ألا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة " الحديث (45).

وفي حديث الأسود بن سريع عن رسول الله ﷺ قال: " أربعة يوم القيامة... " إلى أن قال: " فيأخذ مواريقهم ليطيعه، فيرسل عليهم أن ادخلوا النار " الحديث. رواه أحمد (46).

44 - أردت أن أبين أهمية الميثاق لوروده في السنة النبوية الشريفة - أيضا - ولم أتوسع في ذلك فقد ذكرت بعض الأحاديث فقط.

45 - صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب عهد الله عز وجل 167/8.

46 - مسند الإمام أحمد 24/4.

وعن عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما - قال: " حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ يوماً فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، فلما سألوه قال: "فعلیکم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتکم لتتابعني"، قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق " رواه أحمد (47).

وفي الحديث الذي رواه البخاري في قصة عمر رضي الله عنه مع العباس وعلي - رضي الله عنهما - قال عمر لهما: إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله ﷺ وبما عمل به فيها أبو بكر، وبما عملت به فيها منذ وليتها، وإلا فلا تكلماني فيها، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك. الحديث (48).

وفي حديث الرجل الغني الذي جمع أولاده قبل موته وطلب منهم أن يحرقوه - بعد موته - ثم يذروه قال رسول الله ﷺ " فأخذ منهم ميثاقاً وربي " الحديث. رواه أحمد (49).

هذه بعض الأحاديث التي وردت فيها كلمتا العهد والميثاق، ولم أذكر إلا عدداً يسيراً بما يؤدي إلى الغرض من ذكرها، وإلا فالأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، وبخاصة التي ورد فيها لفظ العهد.

47 - مسند الإمام أحمد 278/1.

48 - صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله 81/7.

49 - انظر الحديث بطوله في مسند الإمام أحمد 5/5.

المطلب الرابع: الأسلوب القرآني في عرض قضية الميثاق .

نزل القرآن بلسان عربي مبين، على أفصح العرب وأقومهم لسانا، وكان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول ﷺ حيث تحداهم الله أن يأتيوا بمثله، بل أن يأتيوا بسورة منه، وعجز العرب وأذعنوا واستسلموا لهذا الإعجاز البياني الرائع، واستمرت تلك المعجزة البيانية على مرّ العصور والأجيال شاهدة على صدق النبي ﷺ - وقوة رسالته. وهذا القرآن المعجزة للبشرية يقف المسلم أمامه منبها، يقف بين الإعجاز وبين سلاسة الأسلوب وسهولة العبارة وقوة نفاذها إلى أعماق القلوب، لا تعقيد ولا تكلف ولا تركيب.

يقرأه العالم المتخصص فيشعر بالضعف أمام روعة أسلوبه وبيانه، ويسمعه الأمي فيزداد إيمانه وخشوعه، ويتلوه الأعجمي فيختر الله ساجداً دون أن يجد تفسيراً لقوة سلطانه على قلبه. ولا غرو ولا عجب فهذا كلام الله: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) (النساء: من

الآية 122) هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأن هذا القرآن كتاب هداية وبيان ودلالة وإرشاد، استمالة للقلوب وإيقاظاً للنفوس، ذكرى للمؤمنين وتنبهها للغافلين، وحجة على الكافرين والمعاندين. ويصعب حصر الأساليب التي وردت في عرض قضية الميثاق لتعددتها وتنوعها، حسب المقتضى والارتباط، وسأذكر أبرز تلك الأساليب، مكتفياً منها بمثلين. من الأساليب التي عرضت بها قضية الميثاق الأسلوب الخبري وهو يحمل معنى النهي فقوله تعالى في سورة الرعد: (وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (الرعد: من الآية 20) فمدلوله لا تنقضوا الميثاق لتكونوا من أولي الألباب.

1- الاستفهام:

وقد ورد بصيغة الاستفهام التوبيخي في عدة آيات، منها قوله تعالى في سورة الأعراف موجَّهاً بني إسرائيل على سوء أفعالهم وخيانتهم الميثاق: (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) (الأعراف: من الآية 169).

هذه صيغة تدعو إلى الشكر والإيمان والوفاء، لمن كان في قلبه ذرة من كرم أو حياء. ونجد أسلوب المقابلة بصيغة خبرية رائعة، والمقابلة نوع من البلاغة بديع، وهذا الأسلوب له أثره الإيجابي في النفس تلاوة واعتباراً: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (الرعد: 20، 21) (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبَةُ الدَّارِ) (الرعد: من الآية 22). ثم يذكر ما يقابل ذلك عملاً وأثراً. (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد: 25).

وتتعدد الصيغ الخبرية، وكلها تعرض بأسلوب جميل، فمرة تأتي بسياق الأمر، وأخرى في معرض النهي وثالثة مسبوقة بجملة استفهامية.

2- الإجمال والبيان:

إسهاب. فقد ذكر الله في سورة البقرة أنه قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل دون أن يبين أو يفصل في ذلك. (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) (البقرة: من الآية63).

فتشوق النفوس، وتتطلع الأفعدة لمعرفة ذلك الميثاق، وسرعان ما يأتي البيان والتفصيل في آية أخرى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة: من الآية83) وفي المائدة يأتي زيادة بيان وتفصيل لهذا الميثاق: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة:12).

وفي سورة الأحزاب ذكر الله أخذ الميثاق على النبيين ولم يفصل فيه: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) (الأحزاب: من الآية7). ثم فصل وبين في سورة آل عمران ما أجمل هناك: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران:81).

3-الخبر:

جاءت آيات كثيرة بصيغة الخبر مفيدة عاقبة نقض العهد، أو جزاء الوفاء بالميثاق. يقول تعالى في سورة البقرة: (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) (البقرة: من الآيتين 26، 27).

وكما أن الضلال والفسق عاقبة الناقضين لعهد الله، تأتي آية أخرى لتقابل معنى هذه الآية حيث جعل التقوى جزاء من أوفى بعهده: (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران:76)، وهذا الأسلوب رائع، حيث جعل نقض العهد في الآية الأولى ملازماً للفسق، وجعل التقوى في الآية الثانية ملازمة للوفاء بالعهد، وهذا فيه من البيان والبديع ما فيه.

وفي آية أخرى يأتي الخبر في سياق التذكير والامتنان (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (البقرة:63، 64).

هذه صيغة تحيي القلوب الميتة، وأسلوب يدعو إلى الشكر والإيمان والوفاء، لمن في قلبه ذرة من كرم أو حياء. ونجد أسلوب المقابلة بصيغة خبرية رائعة، والمقابلة نوع من البلاغة بديع، وهذا الأسلوب له أثره الإيجابي في النفس تلاوة واعتباراً: (الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (الرعد: 20، 21) (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبَةُ الدَّارِ) (الرعد: من الآية 22).

ثم يذكر ما يقابل ذلك عملاً وأثراً. (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد:25).

وتتعدد الصيغ الخبرية، وكلها تعرض بأسلوب جميل، فمرة تأتي بسياق الأمر، وأخرى في معرض النهي وثالثة مسبوقة بجملة استفهامية.

4- الأمر:

من الأساليب التي عرضت بها قضية العهد والميثاق أسلوب الأمر، وهو أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكأ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى

الإيمان، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: 40).
 وفي سورة الأنعام: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) (الأنعام: من الآية 152) وفي النحل: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) (النحل: من الآية 91) وفي الإسراء: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (الإسراء: من الآية 34).
 وهكذا يتكرر الأمر، تعظيماً لشأن العهد، وتنبهاً على وجوب الوفاء به، وعدم الإخلال بمقتضاه، تحقيقاً لعبودية الله وطاعته.

5- النهي:

وكما جاء الأمر، فقد ورد النهي عن نقض الميثاق بصيغة طلبية وبأسلوب خبري. يقول تعالى في سورة النحل بعد الأمر بالوفاء بالعهد: (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) (النحل: من الآية 91)⁽⁵⁰⁾⁽⁵¹⁾. وفي آية أخرى: (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) (النحل: من الآية 95) وهذا نهي صريح عن نقض العهود والمواثيق. أما الأسلوب الخبري وهو يحمل معنى النهي فقولته تعالى في سورة الرعد: (وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (الرعد: من الآية 20) فمدلوله لا تنقضوا الميثاق لتكونوا من أولي الألباب.

50 - الآية 91 وقد فسرت الإيمان هنا بأيمان العهود والمواثيق.

51 - الآية 91 وقد فسرت الإيمان هنا بأيمان العهود والمواثيق.

المبحث الثاني: الموثيق التي وردت في القرآن الكريم:

وقد درست في هذا المبحث الموثيق التي ذكرت في القرآن الكريم دراسة توثيقية حيث

اشتمل على دراسة الموثيق في المطالب التالية :

المطلب الأول : الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم.

قال الله تعالى في سورة البقرة: (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة: 27).

قال ابن جرير و الما ورد ي والقرطي وابن كثير: قيل: العهد الذي ذكره الله عَلَيْهِ هو

العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصفه في قوله في سورة الأعراف: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف: 172)(52).

52 - تفسير الطبري 1/183؛ وتفسير الماوردي 1/82؛ وتفسير القرطبي 1/246؛ وتفسير ابن كثير 1/66.

وقال تعالى في سورة الحديد: (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الحديد:8).

قال الطبري: عنى بذلك: وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، وهو قول مجاهد (53).

وقد اختلف العلماء في هذا الميثاق وكيف أخذه الله من ذريه آدم، ولأهمية هذا الميثاق سأذكر بعض ما ورد فيه من أحاديث، ثم ذكر بعض الآثار عن السلف وبخاصة المفسرين منهم، ثم آيين ما يترجح لي في هذا الموضوع، مسترشدا بالآثار والأقوال المفسرين:

1- الأحاديث:

وردت أحاديث كثيرة عن المصطفى ﷺ في بيان إخراج الذرية من ظهر آدم وأخذ الميثاق عليهم، وسأذكر بعضها مع الإشارة إلى درجة كل حديث حسب الإمكان:

عن هشام بن حكيم " أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أ نبتدأ الأعمال أم قد مضى القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ " إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، ثم قال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار" (54).

قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني، وفي سنده بقية ابن الوليد، وهو ضعيف، ويحسن حديثه بكثرة الشواهد وإسناد الطبراني حسن (55)

وقال الدكتور عبد العزيز العثيم في تخرجه لهذا الحديث: هذا الحديث حسن لذاته (56).

53 - انظر تفسير الطبري 218/27؛ وتفسير القرطبي 238/17.

54 - رواه الطبري في تفسيره 117/9؛ والبخاري في التاريخ الكبير 191/8.

55 - مجمع الزوائد 187/7.

56 - إخراج الذرية من ظهر آدم، بحث الدكتور عبد العزيز العثيم ص21 مخطوط.

قلت: وبقية صدوق يدلّس كثيراً، فحديثه فيه ضعف، ولكنه يتقوى بكثرة الشواهد فيصبح حسناً لغيره.

وعن أنس يرفعه: " أن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً، لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به، قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك " رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري (57).
وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: " أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم فتلا فقال: ألسن بربكم قالوا: (بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) إلى قوله: (بما فعل المبطلون) " رواه الطبري (واللفظ له) وأحمد والحاكم (58).
قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله الصحيح (59).
وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (60).

قال ابن كثير: وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم - إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفاً - وأخرجه الحاكم في مستدركه، قال: وقد رواه عن الوارث عن كلثوم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علي ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبيرة عن أبيه به، وكذلك رواه عطاء بن السائب وحبیب ابن أبي ثابت وعلي بن بزيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت (أي وقفه على ابن عباس) (61).

57 - صحيح البخاري (فتح الباري) كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم ذريته 363/6؛ وصحيح مسلم كتاب صفة القيامة، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً 134/8.

58 - تفسير الطبري 110/9-111؛ ومسند أحمد 282/1؛ والمستدرک 27/1.

59 - مجمع الزوائد للهيثمى 189/7.

60 - المستدرک 27/1.

61 - تفسير ابن كثير 261/2.

لكن قال أحمد شاكر: حديث ابن عباس صحيح مرفوع وتعليقه بالوقف على ابن عباس غير سديد (62).

نعم وإن رواه هؤلاء الثقات موقوفاً، إلا أنه في حكم المرفوع لما يلي:

أ- لأنه من الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي.

ب- هو تفسير صحابي، وبعض العلماء يقولون أنه بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ -
ومن قال بذلك الحاكم (63) وذكره الزركشي في البرهان (64).

ج- أنه أتى مرفوعاً إلى النبي ﷺ من طريق صحيح كما قال أحمد شاكر وغيره.

د- أن له شواهد مرفوعة تقوي رفعه (65).

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) (الأعراف: من الآية 172) قال: أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس (شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف: من الآية 172) رواه الطبري (66).

ورواه موقوفاً أيضاً (67) ورواه اللالكائي موقوفاً (68).

في سند هذا الحديث شيخ الطبري عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني لم يتكلم فيه بمرح ولا تعديل، وبقية رجال الإسناد ليس فيهم ضعيف.

قال الطبري: والثقات التي يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعه (69).

62 - شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق أحمد شاكر ص 189.

63 - المستدرک 2/258.

64 - البرهان في علوم القرآن 2/157.

65 - وانظر بحث إخراج الذرية من ظهر آدم للعثيم ص 25.

66 - تفسير الطبري 9/113.

67 - تفسير الطبري 9/113.

68 - انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/562.

69 - تفسير الطبري 9/118.

قال ابن كثير: وهذا أصح، أي وقفه على عبد الله بن عمرو (70).

هذه بعض الأحاديث التي وردت في إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم (أي أخذ الميثاق عليهم) وهناك أحاديث أخرى في إخراج الذرية (71) ولكن لم يذكر فيها الإشهاد فلم أذكرها اقتصاراً على جوهر الموضوع.

2 - الآثار الواردة عن السلف: □□□□□

روى عن أبي بن كعب في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) (الأعراف: من الآية 172) الآية. قال: " جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتي، قالوا: (شهدنا بأنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، فأقروا بذلك ورفع عليهم آدم ينظر إليهم) " رواه أحمد والطبري والحاكم واللالكائي (72).

رجال إسناده ثقات إلا الربيع بن أنس فهو صدوق ومحمد بن يعقوب، قال الهيثمي: مستور، قال الهيثمي وبقية رجاله رجال الصحيح (73) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (74).

70 - تفسير ابن كثير 2/262.

71 - انظر تفسير الطبري 9/111؛ وموطأ مالك، كتاب القدر 560؛ وعون المعبود، كتاب القدر 12/470.

72 - مسند الإمام أحمد (واللفظ له) 5/135؛ وتفسير الطبري 9/115؛ والمستدرک 2/323؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة 559.

73 - مجمع الزوائد 7/25.

74 - المستدرک 2/324.

روي عن ابن عباس قال: " إن الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر وقال لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا. ثم أعادهم في ظهره حتى تؤكد من أخذ ميثاقه، لا يزداد ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة " رواه اللالكاي والطبري (75).

قال محقق شرح أصول اعتقاد أهل السنة بعد ذكر هذا الأثر:

وورد من طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بمعناه رواية أحمد.

وقال الألباني في رواية المسند وإسناده صحيح (حاشية المشكاة) (76).

وروي عن عطاء في هذه الآية قال: أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم في صلبه (77).

وروي الطبري عن نظر بن عربي - في هذه الآية - قال: أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم في صلبه (78).

وقال ابن جريج عن مجاهد، قال: إن الله لما أخرجهم قال: يا عباد الله أجيئوا الله - والإجابة: الطاعة - فقالوا: أطعنا، اللهم أطعنا، اللهم أطعنا، اللهم لبيك (79).

وروى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: " خلق الله آدم، ثم أخرج ذريته من ظهره، فكلّمهم الله وأنطقهم، فقال: ألسن بربكم؟ فقالوا: بلى، ثم أعادهم في صلبه، فليس أحد من الخلق إلا قد تكلم، فقال: ربي الله، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه" (80).

وعن محمد بن كعب القرظي قال في هذه الآية: أقرت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها، رواه الطبري (81).

75 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 562/3.

76 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 562/3.

77 - تفسير الطبري 116/9.

78 - تفسير الطبري 116/9.

79 - تفسير الطبري 115/9.

80 - تفسير الطبري 116/9.

81 - تفسير الطبري 117/9.

3- أقوال المفسرين:

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ) (الأعراف: من الآية 172) الآية، الآية: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به (82).

وقال ابن كثير: يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه (83).

وقال القرطبي: واذكر لهم مع ما سبق من تذكير المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر (84).

وقد ذكر الرازي القول بإخراج الذرية من ظهر آدم وأخذ الميثاق عليهم، ثم عقب على ذلك بقوله: وهذا القول ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة والكلي (85).

هذه هي أهم الأحاديث والآثار وأقوال المفسرين التي وردت في تفسير هذه الآية وبيان أخذ الميثاق على ذرية آدم وقد خالف في ذلك المعتزلة، وأنكروا أخذ الميثاق بنحو ما ذكر، وردوا على من قال به، وذكروا حججاً لرد هذا القول ذكرها الرازي ورد على بعضها رداً جيداً، ولطول هذه الحجج والرد عليها آثرت عدم ذكرها (86).

وقد ذكر الزمخشري قول المعتزلة في تفسير هذه الآية وبيان أخذ الميثاق فقال: معنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم: إخراجهم من أصلابهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم، وقوله: (الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) (الأعراف: من الآية 172) من باب

82 - تفسير الطبري 110/9.

83 - تفسير ابن كثير 261/2.

84 - تفسير القرطبي 314/7.

85 - تفسير الرازي 47/15.

86 - تفسير الرازي 47/15 وما بعدها.

التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررههم وقال لهم: ألسنت بربكم، وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقرنا بوحدانيتك، وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وكلام العرب (87).

وقد ذهب بعض المفسرين إلى تفسير الآية بغير تفسير الجمهور، ولم يقولوا بقول المعتزلة، ولكنهم قالوا قولاً آخر فسروا به الآية، ومن ذلك تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي لهذه الآية حيث قال: أخرج من أصلهم ذريتهم وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرناً بعد قرن، وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم أشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم، أي: قررههم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار بأنه ربهم وخالقهم ومليكنهم. قالوا: بلى قد أقرنا بذلك فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف.

فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة. ثم أشار إلى قول الجمهور وردّه بإجمال دون أن يشير إلى الأحاديث أو الآثار فضلاً عن أن يناقشها (88).

وأخيراً فإن الذي يترجح في هذه المسألة: أن الله أخرج ذريه آدم من ظهره وأخذ الميثاق عليهم مشهداً بعضهم على بعض، ومشهداً (89) الإنسان على نفسه أي أخذ بإقراره، فقال لهم سبحانه وتعالى: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) (الأعراف: من الآية 172) ؟ فأجابوا: (بلى) (الأعراف: من الآية 172) .

87 - الكشاف 129/2.

88 - انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 113/3 وما بعدها؛ وانظر روح المعاني للألويسي 99/9 وما بعدها حيث إن تفسيره لها قريب من هذا.

89 - وقيل شهدت الملائكة، وقيل شهد الله وملائكته، وما ذكرته هو الراجح، قال ابن أبي العزّ مرجحاً له بعد ذكر هذه الأقوال والأول أظهر وما عداه احتمال لا

دليل عليه، وإنما يشهد ظاهر الآية للأول - انظر شرح العقيدة الطحاوية - ص 188.

وهذا هو الذي يدل عليه سياق الآية وجاءت به الأحاديث المفسرة للآية، وقال به بعض الصحابة والتابعين ممن فسّر هذه الآية، وهو قول جمهور المفسرين الذين سبق الإشارة إلى بعضهم حتى نصّ بعض كبار المفسرين كابن عطية والثعالبي على تواتر الأحاديث على إخراج الذرية من ظهر آدم - عليه السلام - وأخذ الميثاق منهم⁽⁹⁰⁾. ولا أقول بذلك إلا أن نجمله على التواتر المعنوي⁽⁹¹⁾ وفيه نظر أيضاً، ولكنه يدل على قوة هذا القول.

وقال ابن الأنباري: هذا مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم⁽⁹²⁾. وقال الخازن: وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير إليه والأخذ به⁽⁹³⁾.

وقال الشنقيطي بعد أن ذكر قول الجمهور وقول مخالفهم وهذا الوجه - أي قول الجمهور - يدل عليه الكتاب والسنة، ثم فصل في بيان وجه دلالة الكتاب والسنة على صحة هذا القول. وذلك في معرض ترجيحه لهذا القول والأخذ به⁽⁹⁴⁾.

وقال الطحاوي: والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق، ثم فصل ابن أبي العز في بيان ذلك ودلالته من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة⁽⁹⁵⁾.

كل ذلك مما يقوي الأخذ بما رجحته وعدم الالتفات إلى ما سواه، مع الإشارة إلى صحة ما ذكره الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في ثبوت الفطرة ولكننا لا نجعل ذلك هو الميثاق أو نفسر به الآية.

90 - انظر المحرر الوجيز 134/6؛ وتفسير الثعالبي 64/2.

91 - ممن قال بذلك د. عبد العزيز العثيم في بحثه إخراج الذرية من ظهر آدم - ص 50.

92 - لباب التأويل 310/2.

93 - لباب التأويل 310/2.

94 - أضواء البيان 336/2 وما بعدها.

95 - شرح الطحاوية - ص 185.

أما قول المعتزلة فهو تفسير عقلي في مقابلة النصوص فلا يعول عليه، وما ذكره الرازي في رد هذا القول فيه الكفاية فليرجع إليه ⁽⁹⁶⁾. والله المستعان.

وأخيراً وقبل أن أنتقل عن هذا المبحث أذكر أموراً متممة له مع الاختصار في ذلك:
- اختلف في مكان الإخراج فقيل في نعمان واد إلى جنب عرفة ⁽⁹⁷⁾.
وقيل في الهند ⁽⁹⁸⁾.

وقيل: قبل أن يهبط إلى الأرض وبعد الإخراج من الجنة ⁽⁹⁹⁾. وقيل غير ذلك، ولم أقف عند هذه المسألة لأنه لا يترتب على العلم بها كبير فائدة، ولا يضر الجهل بذلك.
1- رأى آدم ذريته بعد أن أخرجهم الله من ظهره، ورأى فيهم الأنبياء كالسرج، ورأى الغني والفقير والصحيح والسقيم وقد ورد هذا في عدة آثار، ومن أقواها الأثر المروي عن أبي بن كعب ⁽¹⁰⁰⁾.

2- قال ابن عباس: لن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول - ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة ⁽¹⁰¹⁾.

3- لا تناقض بين الميثاق والفطرة، بل نقول أن المولود يولد على الفطرة - كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، ⁽¹⁰²⁾ لأنه أعطى الميثاق وفيه الإقرار بربوبية الله ووحدانيته، ويبقى على ذلك ويولد عليه، ولكن هذه الفطرة تتغير بما يطرأ على الإنسان من عقائد فاسدة لأسباب كثيرة تصرفه عن فطرته وميثاقه.

96 - تفسير الرازي 50/15.

97 - ورد في حديث ابن عباس، انظر تفسير الطبري 111/9.

98 - نسبه الطبري لابن عباس، انظر تفسير الطبري 111/9.

99 - قال به السدي، انظر تفسير الطبري 116/9.

100 - انظر الآثار الواردة في ذلك في تفسير الطبري 114/9 وما بعدها؛ وتفسير ابن كثير 263/2.

101 - تفسير الطبري 112/9؛ وتفسير ابن كثير 262/2.

102 - انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للكاتب 562/3 وما بعدها حيث روى عدة أحاديث صحيحة - بعضها في البخاري ومسلم.

4- أن هذا الميثاق ليس كافيًا لإقامة الحجة على الخلق، بل لا بد من إرسال الرسل وإنزال الكتب، والآيات القرآنية صريحة بأن الله تعالى لا يعذب أحدًا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل، وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة وما ركز من الفطرة (103).

قال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء: من الآية 15).

وقال سبحانه: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلْمَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء: من الآية 165).

5- هناك من قال إن الأرواح خلقت قبل الأجساد (104) وقال آخرون بغير ذلك (105). ولا مصلحة في الخوض في هذه المسألة، والآثار لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقًا مستقرًا ثابتًا (106). هذا ما تيسر تحقيقه في بيان هذا الميثاق الذي أخذه الله على البشر، وأسأل الله الثبات واليقين إنه نعم المولى ونعم النصير.

103 - انظر أضواء البيان للشنقيطي 336/2.

104 - هو قول محمد بن كعب القرظي كما رواه عنه الطبري في تفسيره 117/9.

105 - كقول من قال: إنهم أرواح بلا أجسام، ومعرفة بلا عقول، وقول: إنها أرواح بأجسام ومعرفة بعقول، انظر الرد على الجهمية لابن مندة - ص 60.

106 - وانظر تفصيل ذلك في شرح العقيدة الطحاوية - ص 188.

المطلب الثاني : الميثاق الذي أخذه الله على النبيين.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران:81).

وقال سبحانه في سورة الأحزاب: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (الأحزاب:7).

اختلف العلماء في الآية الأولى: هل كان أخذ الميثاق من النبيين، أو من أممهم:

فذهب فريق منهم إلى أن الميثاق أخذ من أتباع الأنبياء ولم يؤخذ من النبيين، وتأويل الآية عندهم: وإذا أخذ الله ميثاق أمم النبيين⁽¹⁰⁷⁾ أو: وإذا أخذ الله ميثاق أتباع النبيين⁽¹⁰⁸⁾ أو: وإذا أخذ الله ميثاق النبيين على أممهم⁽¹⁰⁹⁾ ونحو ذلك، فأضافوا (ميثاق) إلى (النبيين) وقدروا محذوفاً كما تقول: عهد الله وبمين الله وميثاق الله⁽¹¹⁰⁾.

ومن قال بذلك مجاهد والربيع⁽¹¹¹⁾ وجعفر الصادق⁽¹¹²⁾ وغيرهم وأدلة من نصر هذا القول ما يلي:

107 - روح المعاني 209/3.

108 - البحر المحيط 509/2.

109 - تفسير المنار 350/3.

110 - انظر الكشاف 440/1.

111 - تفسير القرطبي 331/3؛ والتحرير والتنوير 299/3.

112 - انظر تفسير المنار 350/3؛ وروح المعاني 209/3.

1- روى الطبري بسنده عن مجاهد في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ

(آل عمران: من الآية 81) قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) (آل عمران: من الآية 187)(113).

2- وروى الطبري بسنده - أيضاً - عن الربيع في قوله: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ

(آل عمران: من الآية 81) يقول: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) (آل

عمران: من الآية 187) وكذلك كان يقرؤها الربيع: (وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ

ميثاق الذي أوتوا الكتاب)، إنما هي في أهل الكتاب، قال وكذلك كان يقرؤها أبي

بن كعب. قال الربيع: ألا ترى أنه يقول: (ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) (آل عمران: من الآية 81) يقول: لتؤمنن بمحمد ﷺ

ولتنصرنه، قال: هم أهل الكتاب (114).

3- ما ذكره أبو مسلم الأصفهاني قال: ظاهر الآية يدل على أن الذين أخذ عليهم

الميثاق يجب أن يؤمنوا بالنبى ﷺ - عند بعثه وكل الأنبياء يكونون عند مبعث النبي من

الأموات، والميت لا يكون مكلفاً لذا فالمكلف غيرهم، وهم أمم النبيين الموجودون عند

مبعث النبي ﷺ (115).

4- أنه تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق أن من تولى منهم كان فاسقاً، وهذا

الوصف لا يليق بالأنبياء - عليهم السلام - وإنما بالأمم (116).

5- أن المقصود من هذه الآية أن يؤمن الذين كانوا في زمان الرسول ﷺ - وإذا

كان الميثاق مأخوذاً عليهم كان ذلك أبلغ في تحصيل هذا المقصود من أن يكون مأخوذاً

على الأنبياء - عليهم السلام - (117).

113 - تفسير الطبري 3/331.

114 - تفسير الطبري 3/131.

115 - انظر تفسير الرازي 8/116.

116 - انظر تفسير الرازي 8/116.

هذه أهم أدلة من قال بالقول الأول من المفسرين وغيرهم (118). وذهب آخرون إلى القول بأن الميثاق قد أخذ على الأنبياء كما يفيد ظاهر الآية.

ومن قال بذلك جمهور العلماء من الصحابة والتابعين وكثير من المفسرين ومنهم: علي وابن عباس وقتادة والحسن وطاوس والسدي وسعيد بن جبير والطبري وابن كثير وغيرهم (119).

وقد استدل هؤلاء بعدة أدلة أهمها:

1- ظاهر الآية ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) (الأحزاب: من الآية 7).

2- ما رواه الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن ثابت قال: "جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك، قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله: فقلت: ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا، قال: فسرى عن النبي ﷺ ثم قال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين" (120).

وكذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى قال: حدثنا إسحاق حدثنا حماد عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ "والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني" (121).

117 - انظر تفسير الرازي 116/8.

118 - انظر تفسير الرازي 116/8.

119 - انظر تفسير الطبري 330/3 وما بعدها؛ والبحر المحيط 508/2؛ وتفسير ابن كثير 377/1؛ وتفسير الرازي 115/8.

120 - مسند الإمام أحمد 470/3 و265/4؛ وتفسير ابن كثير 378/1.

121 - أخرج ابن كثير في تفسيره 378/1.

3- روى الطبري بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لم يبعث الله رسلاً نبياً، آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه، وقرأ الآية (122).

4- ما روي عن ابن عباس وقتادة وطاوس من آثار في ذلك، (123) وهذا القول هو الراجح وهو الذي تسنده الأدلة ويوافق ظاهر الآية.

أما القول الأول فلا حجة لهم يعتد بها، وما ساقوه من أدلة لا ينهض بها الاستدلال، ويرد عليها بما يلي:

1- أما ما روي عن مجاهد فقد قال أبو حيان: هذا لا يصح عنه؛ لأن الرواة الثقة نقلوا عنه أنه قرأ: (مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) (آل عمران: من الآية 81) كعبد الله بن كثير وغيره، وإن صح ذلك عن غيره فهو خطأ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان (124).

2- أما قول الربيع فيرد عليه - أيضاً - بإجماع الصحابة على مصحف عثمان، فإن صحت القراءة عن أبيّ فهي شاذة، وقال الطبري: وأما ما استشهد به الربيع فإن ذلك شاهد على صحة ما قال (125).

3- أما قول أبي مسلم فهو ضعيف من وجهين:

أ- أنه فسر الميثاق ببعض معناه وهو أعم من ذلك كما سيأتي (126).

ب- أنه لا يمتنع أن يؤمن النبيون - عليهم السلام - بمحمد صلوات الله عليه وإن لم يدركوه، بل هذا جزء من الإيمان لما يلي:

1- حتى يخبروا أممهم، ويأمرهم بالإيمان به إن أدركوه.

122 - انظر تفسير الطبري 508/2.

123 - انظر تفسير الطبري 131/3 وما بعدها.

124 - البحر المحيط 508/2.

125 - انظر تفسير الطبري 333/3.

126 - وذلك عند بيان معنى الميثاق المأخوذ على النبيين.

2- أن بعض النبيين سيدركه (127) كعيسى - عليه السلام - بعد نزوله فإنه يحكم بشريعة النبي ﷺ ويكون من أتباعه (128).

3- أن الإيمان به عقيدة حتى وإن لم يدركوه، كما تؤمن بالنبيين السابقين لنبينا ﷺ - وعليهم أجمعين - وإن لم ندركهم ولن تتبعهم فيما خالف شريعة نبينا محمد ﷺ وكما يجب الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها وإن لم يدركها الأكثرون.

4- أما الدليل الرابع، وهو وصف من تولى بأنه من الفاسقين، وهذا لا يليق بالأنبياء فالرد عليه من وجهين:

1- أن قوله: (فَمَنْ تَوَلَّى) (آل عمران: من الآية 82) الآية للمخاطبين وقت نزول القرآن، أو للأمم بعد أخذ الميثاق على أنبيائهم (129).

2- أنه على القول بأن الآية في الأنبياء فهي من باب قوله تعالى: (لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (الزمر: من الآية 65). وقوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) (الحاقة: 44-46).

5- أما الدليل الخامس، وهو أن المقصود أن يؤمن الذين في زمن النبي ﷺ فأخذ الميثاق منهم أولى. وهذا ضعيف من وجهين - أيضاً -:

أ- أنه ليس المقصود أن يؤمن الذين في زمن النبي ﷺ فقط، بل أن يؤمن الأنبياء وأممهم بالرسول ﷺ وغيره من الأنبياء، كما سيأتي.

ب- أن درجات الأنبياء أعلى وأشرف من درجات الأمم، فصرف الميثاق إلى الأنبياء أقوى في تحصيل المطلوب والأمم تبع (130).

127 - أي يدرك أمة النبي صلى الله عليه وسلم لا أنه يدرك شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لأن عيسى - عليه السلام - ينزل في آخر الزمان.

128 - انظر شرح العقيدة الطحاوية - ص 448.

129 - انظر تفسير الطبري 3/335؛ والبحر المحيط 2/514.

130 - انظر تفسير الرازي 8/116.

وبما سبق يتبين أن الراجح هو القول: بأن الله أخذ على النبيين ميثاقهم، وأن الأمم تبع
لأنبيائهم، فالله قد أخذ الميثاق على النبيين، والأنبياء يأخذون الميثاق على أممهم⁽¹³¹⁾.

قال الطبري مرجحاً القول الثاني ورادا الأول:

ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد
أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين فسواء قال قائل لم يأخذ ذلك منها رهبا، أو قال: لم يأمرها
ببلاغ ما أرسلت⁽¹³²⁾ وقد نصّ الله عَزَّ وَجَلَّ أنه أمرها بتبليغه لأنهما جميعاً خبران من الله
عنها، أحدهما أنه أخذ منها، والآخر منهما أنه أمرها فإن جاز الشك في أحدهما جاز في
الآخر⁽¹³³⁾.

وهنا نأتي لبيان الميثاق الذي أخذه الله على النبيين:

قال قتادة: ميثاق الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله
ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم
رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويصدقوه وينصروه⁽¹³⁴⁾.

وعن طاووس قال: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به
الآخر منهم⁽¹³⁵⁾.

وقال الحسن: أخذ الله ميثاق النبيين: ليلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا⁽¹³⁶⁾.

وهؤلاء فسروا الميثاق بأن بعضهم يؤمن ببعض ويصدق بعضهم بعضاً من أولهم إلى
آخرهم.

ولكن ابن عباس وعلي والسدي فسروا الميثاق بأخص من ذلك:

131 - انظر تفسير الطبري 332/3؛ وتفسير القرطبي 124/4.

132 - أصحاب القول الأول لم يشكوا ولكن تأولوا.

133 - تفسير الطبري 333/3.

134 - انظر تفسير الطبري 331/3-332.

135 - انظر تفسير الطبري 331/3-332.

136 - انظر تفسير الطبري 331/3-332؛ وزاد المسير 414/1؛ وتفسير الرازي 115/8.

قال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله ﷺ نبينا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد، لئن يبعث وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه (137).
وبنحو قول علي قال ابن عباس كما ذكر ذلك ابن كثير، وأشار إليه الطبري وابن الجوزي والرازي (138).

ويمثل قول علي قال السدي - أيضاً (139) :-

والراجح في هذه المسألة هو القول الأول، فإن الله أخذ الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمن بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضاً وينصره ويأخذوا ذلك على أممهم، على القول الثاني لا يعارض الأول ولكنه أخص منه وهو صحيح كما قال ابن كثير: وما قاله طاوس وقتادة لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه (140).

ورجح الطبري ذلك قائلاً:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب من قال: معنى ذلك: الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضاً، وأخذ الأنبياء على أممها وأتباعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به، لأن الأنبياء - عليهم السلام - بذلك أرسلت إلى أممها، ولم يدع أحد ممن صدق المرسلين أن نبينا أرسل إلى أمة بتكذيب أحد أنبياء الله ﷺ (141). واختار هذا القول ابن كثير وفسر به الآية (142).

ولذا فأخذ الميثاق على الأنبياء بالإيمان بمحمد ﷺ وتصديقه، وأمر الأمم بذلك من

باب أولى.

137 - تفسير الطبري 3/332؛ وتفسير ابن كثير 1/378.

138 - انظر تفسير ابن كثير 1/378؛ وتفسير الطبري 3/332؛ وزاد المسير 1/414؛ وتفسير الرازي 8/115.

139 - انظر تفسير الطبري 3/332؛ وزاد المسير 1/414.

140 - تفسير ابن كثير 1/377.

141 - تفسير الطبري 3/332.

142 - انظر تفسير ابن كثير 1/377.

وأختم هذا المبحث بالنقاط التالية:

- 1- أن الله أخذ من النبيين العهد والميثاق بأن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضاً، وكل يبلغ أمته ويأمرها بالإيمان بذلك.
- 2- أن الله أمرهم بذلك فأقروا بالميثاق وأعطوا العهد عليه (143).
- 3- أن الله أشهدهم على ذلك فشهدوا (144)
- 4- الميثاق الذي أخذ على ذرية آدم - والأنبياء منهم - عام وهذا ميثاق خاص.
- 5- قال بعض المفسرين: إن أخذ الميثاق على النبيين في ظهر آدم، (145) وقيل بعد ذلك (146).

وبهذا يتضح القول في معنى ميثاق النبيين والعهد الذي أخذه الله عليهم، والله أعلم بالصواب

143 - تفسير الطبري 334/3.

144 - وقيل شهدت الملائكة بذلك - أي أشهدهم الله - وقيل غير ذلك. انظر تفصيل ذلك في البحر المحيط 513/2؛ وروح المعاني 212/7.

145 - ممن قال بذلك مجاهد. انظر تفسير الطبري 126/21؛ وتفسير القرطبي 127/14.

146 - ذكر ذلك الأوسمي، وقال إن القول الأول بعيد كبعد ذلك الزمان. انظر روح المعاني 210/3.

المطلب الثالث : الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل.

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أن الله قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل، وقد جاءت هذه الآيات بصيغ متعددة ومواضع متفرقة في كتاب الله فمنها قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:63).

وفي آية أخرى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) (البقرة:83، 84).

وكما جاءت الآية (63) في سورة البقرة جاءت الآية (93) مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الآية: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) (البقرة: من الآية93).

وفي آل عمران عبر عنهم بأهل الكتاب: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ) (آل عمران:187).

وفي سورة المائدة جاء الميثاق مفصلاً: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة:12).

وفي سورة الأعراف: (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) (الأعراف: من الآية 169).

إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في القرآن الكريم آيات فيها إشارة موجزة إلى نوع الميثاق:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) (البقرة: من الآية 63). (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) (البقرة: من الآية 93).

3- آيات فيها شيء من التفصيل عما أخذ عليهم من عهود ومواثيق:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة: من الآية 83). (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) (البقرة: 84). (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: من الآية 187). (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (المائدة: من الآية 12). (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) (الأعراف: من الآية 169).

وبالرجوع إلى كتب التفسير وما ذكره العلماء في تفسير هذه الآيات نخلص إلى ما يلي:

1- أن الله أخذ على بني إسرائيل العهد والميثاق أن يؤمنوا بالتوراة جملة، ويعملوا بما فيها تفصيلاً. قال الطبري: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: لما رجع موسى من عند ربه بالألواح قال لقومه من بني إسرائيل: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، وأمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه، فقالوا: ومن يأخذ بقولك

وقال الطبري: وأما العهد: فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى⁽¹⁵³⁾. وقال عند تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) (الأعراف: من الآية 169).

قال: هو أخذ الله العهود على بني إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها⁽¹⁵⁴⁾.

2- أن الله أخذ على بني إسرائيل العهد والميثاق أن يؤمنوا بالرسول ﷺ إذا بعث، وأن يتبعوه، وأن يبينوا أمره للناس لأنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

قال الطبري: فعهد الله وميثاقه: هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد ﷺ إذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم⁽¹⁵⁵⁾.

وقد وردت آثار في هذا المعنى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم⁽¹⁵⁶⁾.

قال ابن كثير: أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينوّهوا بذكره في الناس، فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه⁽¹⁵⁷⁾. وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: من الآية 187).

3- أخذ الله ميثاق بني إسرائيل على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام ويتعاطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به، ويحشوا على طاعته، وقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤدوا زكاة أموالهم⁽¹⁵⁸⁾ وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

153 - تفسير الطبري 442/1.

154 - تفسير الطبري 107/9.

155 - تفسير الطبري 182/1.

156 - انظر تفسير الطبري 202/4؛ وزاد المسير 521/1.

157 - تفسير ابن كثير 346/1.

158 - انظر تفسير الطبري 393/1.

5- لما أراد موسى - عليه السلام - محاربة الجبارين أمره الله بأن يختار من قومه اثني عشر نقيباً - كفلاء على قومهم - وأمرهم بالذهاب إلى الجبارين، وأخذ منهم الميثاق وأعطاهم الموعد بأنه - سبحانه - معهم وناصرهم على عدوهم إن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمنوا برسول الله وعزروهم ونصروهم وأقرضوا الله قرضاً حسناً، مع وعده سبحانه بتكفير ذنوبهم، وإدخالهم الجنة بعد ذلك، إن وفوا بالعهد والميثاق الذي أخذه عليهم. وكفلهم بذلك نقيباً لهم (167).

وهذا معنى الميثاق في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (المائدة: من الآية 12). وقال الربيع بن أنس: هذا خطاب من الله للنقباء الاثني عشر (168).

قال الطبري - معقبا على هذا القول - : وليس الذي قاله الربيع ببعيد من الصواب، غير أن قضاء الله في جميع خلقه أنه ناصر من أطاعه، وولي من اتبع أمره، وتجنب معصيته، وجاق ذنوبه، فإذا كان ذلك كذلك وكان من طاعته إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسول، وسائر ما ندب القوم إليه، كان معلوماً أن تكفير السيئات بذلك، وإدخال الجنات به لم يخص به النقباء دون سائر بني إسرائيل وغيرهم، فكان ذلك بأن يكون ندباً للقوم جميعاً، وحصلاً لخاص دون عام (169).

6- أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل بأن يدخلوا الباب سجداً وألا يعدوا في السبت، وأن يعملوا بما في التوراة. وأخذ عليهم ميثاقاً غليظاً مؤكداً. قال تعالى: (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ

167 - انظر تفسير الطبري 150/6؛ وتفسير ابن كثير 32/2.

168 - تفسير الطبري 151/6.

169 - تفسير الطبري 151/6.

الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ
وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا) (النساء:154).

قال الطبري: أخذ الله عليهم عهدًا مؤكدًا شديدًا، بأنهم يعملون بما أمرهم الله به،
وينتهون عما نهاهم الله عنه مما ذكر في هذه الآية، ومما في التوراة⁽¹⁷⁰⁾ وبنحو ذلك قال
ابن كثير⁽¹⁷¹⁾.

وقبل أن أتجاوز هذا المبحث أتمه بما يلي:

1- من خلال الآيات السابقة وبالنظر إلى تفسيرها يتضح أن الله أخذ الميثاق على بني
إسرائيل بالعمل بما في التوراة ثم جاءت عهود ومواثيق أخرى لتأكيد الميثاق الأول، والنص
على مواثيق خاصة لأهميتها والعناية بها، مع أنها كانت داخلة في الميثاق الأول وهو العمل
بما في التوراة، ولا تعارض في ذلك، فهو خاص بعد عام، وكما أخذ الله الميثاق على الناس
جميعًا ميثاقًا عامًا، ثم خص منهم بعضهم كالنبيين وبني إسرائيل.

2- أن الله أخذ على بني إسرائيل عدة عهود ومواثيق، فمنها الميثاق العام لجميع ذرية
آدم، ثم ميثاق التوراة ثم المواثيق الأخرى كما بينت من المواثيق الخاصة بهم.

3- أن الآيات في كتاب الله التي جاءت مبينة أخذ الميثاق على بني إسرائيل بعضها
يبين ميثاقًا خاصًا، وبعضها يؤكد أخذ ميثاق سبق ذكره، فلا يعني أن عدد المواثيق التي
ذكرت في القرآن الكريم هي عدد المواثيق التي أخذت على بني إسرائيل، فمثلا أخذ الميثاق
عليهم بعد رفع الطور تكرر في القرآن عدة مرات⁽¹⁷²⁾ مع أنه ميثاق واحد، وتكرر
الميثاق الواحد في عدة آيات، كتكرر قصة موسى وقصص النبيين وغيرها.

170 - تفسير الطبري 10/6.

171 - انظر تفسير ابن كثير 573/1.

172 - وذلك في الآيات 63 و93 سورة البقرة؛ و154 سورة النساء وفي المعنى نفسه آية 171 سورة الأعراف بدون ذكر لفظ الميثاق.

4- قال الأصم: الميثاق الذي أخذ عليهم: هو ما أودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته والدلائل الدالة على صدق أنبيائه ورسله (173). وتفسير الميثاق بهذا القول لا وجه له ولا دليل بل هو من تفسير المعتزلة.

5- أخذ الله العهد والميثاق على النصارى بأن يطيعوه ويؤدوا فرائضه، ويتبعوا رسله، ويصدقوا بهم، كما أخذ عليهم العهد والميثاق على متابعة الرسول ﷺ - ومناصرتة ومؤازرتة واقتفاء آثاره (174).

وهذا معنى الميثاق الذي ذكره الله بقوله: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) (المائدة: من الآية 14).

6- ذكر الله سبحانه وتعالى الميثاق الذي أخذه يعقوب على أبنائه عندما طلبوا أخاهم، وذلك بأن حلفوا يميناً مغلظاً ليأتين به إذا رجعوا من سفرهم إلا أن يحدث أمر لا يستطيعون له دفعاً ولا رداً، وأشهدوا الله على ذلك وجعلوه وكيلاً، سبحانه وتعالى. معنى موثقاً من الله: تعطوني ما أثق به من عند الله وهو الحلف. فنسبته إلى الله - جل وعلا - لأنه هو المقسم به سبحانه، فاستمد القوة والثقة من عند الله لاقتترانه بلفظ الجلالة (175).

173 - انظر تفسير الرازي 106/3.

174 - انظر تفسير الطبري 158/6؛ وتفسير ابن كثير 33/2.

175 - انظر تفسير الطبري 12/13؛ وغرائب القرآن للنيسابوري 24/13؛ وتفسير التحرير والتنوير 18/13.

المطلب الرابع : الموائيق التي جرت في عهد الرسول ﷺ -

أشار القرآن الكريم إلى بعض الموائيق التي جرت في عهد النبي ﷺ وذلك في عدة مواضع من القرآن، وبتتبع كتب التفسير والسنة والسيرة

أ- أن القرآن الكريم أشار إليها إجمالاً، مع غيرها من العهود والموائيق.

ب- أن الرسول ﷺ لم يياشر كثيراً منها بنفسه مع أصحابها، وإنما كانت عن طريق الرسل أو بعض الوفود.

ما أخذه الرسول ﷺ على صحابته:

بايع الرسول ﷺ صحابته في عدة مناسبات، والبيعة عهد وميثاق (176) وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح:10).

176 - قال ابن منظور، البيعة: المبايعة والطاعة، وبايعه عليه مبايعة عاهده، وفي الحديث: "ألا تبايعوني" هو عبارة عن المعاهدة والمعاهدة. انظر لسان العرب

وهذه بيعة الرضوان (177).

وقال تعالى: (وَأذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) (المائدة: من الآية 7).

وقد فسرهما القرطبي ببعض مبايعات النبي ﷺ (178) وقال سبحانه: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: 23).

نعم لقد وفي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهودهم، والتزموا مواعيقهم، ولم يكونوا كبني إسرائيل الذين أصبحت الخيانة والغدر من سماتهم وأبرز سجايهم وطباعهم.

لقد كان من وفاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدهم يسقط سوطه وهو راكب على دابته فيترل ليأخذ سوطه ولا يطلب من أحد أن يناوله؛ لأنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يسأل الناس شيئاً أعطوه أو منعه.

هذه هي الطاعة وهذا هو الوفاء، ويمثل هؤلاء تسعد البشرية وتصل على مدارج الرقي وسمو الأخلاق، لقد كان جيلاً قرآنياً فذاً، لم تعرف البشرية جيلاً كذلك الجليل، ولا صفوة كتلك الصفوة

وقد فسرهما كثير من العلماء والمفسرين بأنها في صحابة رسول الله ﷺ (179)؟

فمن خلال هذه الآيات فقد سمي الله مبايعات الصحابة لرسوله ﷺ عهداً وميثاقاً، ومن هنا وباستقراء سيرة الرسول ﷺ يمكننا أن نقسم مبايعات الرسول ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

أ- بيعتي العقبة.

177 - انظر تفسير الطبري 76/26 و85؛ وتفسير ابن كثير 185/4.

178 - انظر تفسير القرطبي 308/9.

179 - انظر تفسير الطبري 145/21؛ وتفسير ابن كثير 475/3.

ب- بيعة الرضوان.

ج- بيعة الإسلام وغيرها.

ذكر مؤرخو السيرة أن رسول الله ﷺ عندما قدم المدينة وفي السنة الأولى من هجرته عقد الألفة بين المهاجرين والأنصار ووداع اليهود الذين كانوا بالمدينة وهم: يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وكتب في ذلك كتاباً.

وسأذكر ما ورد في هذا البحث و أ بين توثيقه، وما ذكره العلماء في صحة هذه المعاهدة (180).

قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق:

كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدتهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي الأمي (رسول الله) (181) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس - ثم ذكر ما للمهاجرين والأنصار من حقوق وما عليهم من واجبات ثم قال (182)

1- وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

2- وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد (183)

180 - توسعت فيها قليلاً نظراً لشهرتها ولاعتماد كثير من المؤرخين عليها.

181 - ما بين القوسين زيادة من الوثائق السياسية لمحمد حميد الله - ص 41.

182 - قمت بوضع الأرقام لمزيد الإيضاح دون أي تغيير في النص أو السياق.

183 - من باب قوله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) [النساء: 59].

- 3- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.
- 4- وأن يهود بني عوف أمة من المؤمنين⁽¹⁸⁴⁾ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع⁽¹⁸⁵⁾ إلا نفسه وأهل بيته.
- 5- وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جثم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطننة مثل لما ليهود بني عوف⁽¹⁸⁶⁾
- 6- وأن بطانة يهود كأنفسهم.
- 7- وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.
- 8- ولا ينحجر⁽¹⁸⁷⁾ على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم، وأن الله على أثر⁽¹⁸⁸⁾ هذا.
- 9- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.
- 10- وأنه لم⁽¹⁸⁹⁾ يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم.
- 11- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين⁽¹⁹⁰⁾
- 12- وأن يثرب حرام جرفها⁽¹⁹¹⁾ لأهل هذه الصحيفة.
- 13- وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.
- 14- وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

184 - لا يعني هذا أن دينهم الذي هم عليه الآن حق، ولكن لهم ما للمؤمنين، أو لأنهم أهل كتاب.

185 - لا يورث ويهلك.

186 - عند ابن هشام وفي الوثائق السياسية جاءت مفصلة - دون زيادة في المعنى.

187 - عند ابن هشام وفي الوثائق: بالزاي.

188 - عند ابن هشام وفي الوثائق: على أبر (من).

189 - في الوثائق السياسية (لا).

190 - ما بين القوسين زيادة عند ابن هشام وفي الوثائق وهو مكرر.

191 - عند ابن هشام وفي الوثائق: جوفها، وقال في حاشية البداية وفي النهاية: الجرف: موضع قريب من المدينة. (ولعله الأصح).

- 15- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار. يخاف فساد، فإن مرده إلى الله، وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى⁽¹⁹²⁾ ما في هذه الصحيفة وأبره.
- 16- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.
- 17- وأن بينهم النصر على من دهم⁽¹⁹³⁾ يثرب.
- 18- وإذا دعوا إلى صلح يصلحونهم ويلبسونه، فإنهم يصلحونه (ويلبسونه)⁽¹⁹⁴⁾ وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.
- 19- على كل أناس حصتهم⁽¹⁹⁵⁾ من جانبهم الذي قبلهم.
- 20- وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل الصحيفة وأن البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره⁽¹⁹⁶⁾.
- 21- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.
- 22- وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ⁽¹⁹⁷⁾ اهـ.
- هذا نص الوثيقة كما أوردها ابن كثير عن ابن إسحاق⁽¹⁹⁸⁾ وكما هي في سيرة ابن هشام⁽¹⁹⁹⁾ والوثائق السياسية لحميد الله⁽²⁰⁰⁾ وقد اعتمدت البداية لابن كثير أصلاً، وأثبت الفروق بين ما في الأصل وغيره - كما سبق - ورواية ابن إسحاق بدون إسناد.

192 - في البداية: (على من اتقى) وما أثبتته من ابن هشام والوثائق وهو أولى.

193 - دهمهم: غشيتهم، وهو الجماعة الكثيرة يأتون على غرة، لسان العرب مادة (دهم).

194 - زيادة من ابن هشام والوثائق السياسية.

195 - أي: نصيبهم وما يخصهم.

196 - ما بين القوسين زيادة من ابن هشام والوثائق السياسية.

197 - ما بين القوسين زيادة من ابن هشام والوثائق السياسية.

198 - البداية والنهاية 224/3-225-226.

199 - انظر سيرة ابن هشام 130/2-134.

200 - انظر الوثائق السياسية - ص 39-47.

هذه بعض الأدلة من كتب السنة والتفسير والسيرة على نوع ما أخذه الرسول ﷺ على اليهود من موثيق. ويتضح من خلال كتب التفسير والسيرة والسنة أن الرسول ﷺ أخذ عليهم الميثاق أكثر من مرة حيث أخذه عليهم عندما قدم إلى المدينة، ثم أكده في مناسبات متعددة⁽²⁰¹⁾ وهذا معنى قوله سبحانه: (وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) (الأنفال: من الآية 72).

201 - انظر المجتمع المدني في عهد النبوة للعمري - ص 114.

المبحث الثالث:

مجالات استعمال مصطلح الميثاق

بعد النظر والتمعن والاستقراء للآيات التي ورد فيها لفظ الميثاق، وبعد الرجوع إلى تفسير هذه الآيات وما قبلها وما بعدها مما يرتبط بها أو ترتبط به، اتضح لي أن هذا المصطلح استعمل في مجالات كثيرة، ولم يكن حصراً على الاستعمال في مجال واحد أو مجالين. فنجد أنه استعمل في مجال تقرير العقيدة وبيانها - بأقسامها المعروفة - وهذا من أوسع المجالات التي استخدم فيها مصطلح الميثاق.

كما نجد أنه قد ورد في بيان العبادات والأمر بها، وفي الحث على التمسك بالأخلاق الفاضلة وإرشاد المسلمين إلى ذلك.

أما في مجال العلاقات بين الدولة المسلمة وغيرها فقد ورد هذا المصطلح ليعين ويرسم كيف تكون تلك العلاقة بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات في أحوال مختلفة من أحوال الدولة الإسلامية.

وفي باب المعاملات الفردية والجماعية فقد ورد ليكون أساساً وأماناً للمتعاملين، وليضفي جوّ الثقة لدى من يتعامل مع المسلمين.

وفي القضايا الاجتماعية ورد هذا المصطلح حاسماً، ومغلقاً، لبعض أبواب الشرّ التي قد تعصف ببنية المجتمع المسلم وتثير فيه القلاقل والاضطرابات، وهكذا نجد أن مجال استعمال هذا المصطلح واسع في القرآن الكريم، بل نجد أنه قد ورد في بعض الآيات متناولاً عدة مجالات في وقت واحد. ومن هنا ولأهمية بيان هذا الجانب فسأقف مع كل آية من آيات الميثاق مبيناً المجال الذي استعملت فيه، وسأسلك في هذا أسلوب التفسير الموضوعي حيث قمت باستقراء الآيات وحصر المجالات التي ورد فيها مصطلح الميثاق، ثم قسّمت المجالات ورتبتها ترتيباً فنياً، وذكرت الآيات التي وردت تحت كل مجال من المجالات المختلفة، مبيناً عند كل آية علاقتها بهذا المجال في ضوء جوّ الآية ومعناها، متصلاً بما قبلها وما بعدها.

مع التنبيه إلى أن هناك تداخلا في المجالات التي وردت فيها بعض الآيات، ولكنني سأرجح ما يكون أظهر في استعمال الآية وقد تتكرر الآية في أكثر من مجال حسب معناها ومدلولها.

المطلب الأول: في العقيدة

إن أهم مجالات استعمال مصطلح الميثاق في مجال العقيدة والمتبع للآيات التي ورد فيها لفظ الميثاق يلحظ هذا الجانب بوضوح، بل لا أتعدى الحقيقة إذا قلت: إن الآيات التي تبدو متصلة بجانب من الجوانب الأخرى غير مجال العقيدة - ظاهراً - ترجع في النهاية إلى تحقيق معنى من معاني العقيدة وهذا مرتبط بقضية أساس، ألا وهي: أنه لا انفصال بين الشريعة والعقيدة عند المتعمق في نهاية الأمور ومآلاتها.

والجانب العقدي الذي بدا لي في عدد من الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح عموماً يتعلق بالإيمان بالله وكتبه ورسله والإيمان بالشرائع المنزلة.

ومن هنا سأتناول الآيات حسب ما أشرت إليه آنفاً مما يتعلق بجانب العقيدة.

1- الإيمان بالله - سبحانه وتعالى: هذا الجانب من أهم الجوانب، بل هو الأساس

الذي تتفرغ عنه جميع مسائل العقيدة، وقد وردت آيات كثيرة تتضمن لفظ الميثاق وتشتمل على وجوب الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - إما تصريحاً أو ضمناً، ففي أول آية في القرآن يرد فيها لفظ الميثاق نجد الحكم من الله تعالى على من نقض الميثاق بالكفر، ومعنى ذلك أن الالتزام بالعهد والميثاق من صميم الإيمان بالله سبحانه، بل لا إيمان إلا بالالتزام بعهد الله وميثاقه، يقول سبحانه: (الَّذِينَ يَبْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ) (البقرة: 27، 28).

إذا فنقض العهد والميثاق كفر، والالتزام به إيمان. وفي آية أخرى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) (البقرة: من الآية 83).

وفي هذه الآية الكريمة إخبار منه سبحانه بأنه قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل بأن يعبدوه وحده لا شريك له، وهذا مقتضى الإيمان به جل وعلا.

وتواصل آيات الميثاق مبينة كفر من نقض عهد الله وميثاقه، ونافية عنه الإيمان بالله تعالى وهذا تأكيد على وجوب تحقيق معنى الإيمان بالالتزام بميثاق الله وعهده الذي أخذه على عباده خصوصاً وعموماً.

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة:93).

بل نجد أن الآية التالية تربط بين الإيمان والعهد ربطاً قوياً يحدد أن من أهم أسباب نقض العهد والميثاق عدم الإيمان (أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة:100). وفي سورة آل عمران يبين سبحانه أنه أخذ العهد على النبيين بالإيمان به وتصديق رسله، ويطلب من الرسول ﷺ مع إخوانه الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

(قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (آل عمران:84).

وتتوالى الآيات التي تربط بين الوفاء بالعهد والإيمان به تعالى، حيث نلاحظ التلازم الكبير بين نقض الميثاق وبين الكفر بالله في عدد من الآيات التي أشرنا إلى بعضها فيما مضى، ويؤكد ذلك في قوله تعالى في سورة النساء:

(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ) (النساء: من الآية155) ثم يقول في آخر الآية (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: من الآية155) إثبات للكفر ونفي للإيمان، ويؤكد ذلك في الآية التي بعدها مباشرة (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) (النساء:156)

وقضية الإيمان بالله قضية أساس، من أجلها خلقت البشرية (202) فلا غرو أن يأتي

الميثاق ضماناً مؤكدة لوجوب الإيمان به سبحانه وتعالى، بل تتابعت الآيات - آيات الميثاق - في هذا المجال وتنوعت ليستوعب المسلم تلك الحقيقة ويؤمن بها ويحذر أن يكون كعبي إسرائيل الذي أدى بهم نقض الميثاق إلى الكفر واللعن والطرده عن رحمة الله (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) (المائدة: من الآية 12) ثم بين سبحانه نوع هذا الميثاق وجزءاً من التزامه به وعمل بمقتضاه، وأن مآله إلى الجنة، أما من نقضه فقد كفر ولم يؤمن، وعبر عن النقض بالكفر، لأن نقض العهد مساو للكفر بالله، بل هو الكفر بعينه (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة: من الآية 12) وكما أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل بأن يؤمنوا ويصدقوا رسوله، فقد أخذ الميثاق على الذين قالوا إنا نصارى (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) (المائدة: من الآية 14) والميثاق هو الميثاق والنهاية هي النهاية (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) (المائدة: من الآية 17)

وهكذا تستمر الآيات في الدعوة إلى الإيمان بالله منبهة إلى ما أحذه الله على البشر من عهد وميثاق، ومشتعة على أولئك الذين لم يحترموا عهودهم فلم يحققوا الإيمان في أنفسهم: (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ) (الأعراف: 101، 102) وفي سورة الأنفال يصف فئة من البشر بمجموعة صفات كل واحدة منها كافية للزجر والتهديد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، هذه الفئة لا تؤمن بالله لوقوعها في الكفر، وهي بذلك شرّ الدواب على البسيطة، ما سر هذا الأمر؟ وما سبب خروجها من الإيمان؟. (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) (الأنفال: 55، 56)

202 - (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات: 56].

وهذا الأسلوب من أساليب القرآن الرائعة في الوصول إلى الحقائق والأهداف، الميثاق لم يكن إلا من أجل الإيمان، فليس مراداً لذاته ولكن لما يؤدي إليه، فالإيمان هو الهدف والغاية، ولكنه يجعل للوسيلة قوة تبدو أنها في مستوى الغاية، لتكون لها المهابة في البقاء والصيانة، محافظة على الأصل والغرض، وفي مجال الإيمان نفسه وبأسلوب بلاغيّ بديع، يشير إلى الشيء بذكر ما يقابله ويضاهيه، مستخدماً لفظ العهد⁽²⁰³⁾ الذي قد أخذ على بني آدم مذكراً بهم ومرشداً (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (يس:60).

ويتكرر التذكير بالميثاق كوسيلة حاسمة وملجئة لتحقيق الإيمان الذي أمر الله به عباده (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) (الحديد:7) أمر ووعد، ولكن الوعد وحده قد لا يكفي، بل لابد من أمر يكون معيناً ودافعاً لهم، فمن لم يغرهِ الوعد فيها هو التذكير والوعيد (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الحديد:8).

وكما بدأت آيات الميثاق في القرآن الكريم في مجال الإيمان نجد ختام لهذه الآيات في المجال نفسه، فكما أن آخر آية⁽²⁰⁴⁾ ذكر فيها لفظ الميثاق وردت في سورة الحديد، وهي في صميم مجال الإيمان - كما أسلفت - نجد أن آخر آية ورد فيها لفظ العهد جاءت في سورة المعارج، مبينة وصف المؤمنين - كما في سورة المؤمنين (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون:8) فكما كانت البداية كانت النهاية. ومن خلال ما مضى يتضح لنا أن مجال الإيمان - وهو أخص أبواب العقيدة - من أوسع المجالات التي ورد فيها مصطلح العهد والميثاق، ويزداد الأمر وضوحاً إذا تذكرنا أن أهمّ العهود والمواثيق ما أخذه الله على آدم وذريته عند إخراج الذرية، وفي أي مجال؟ أنه

203 - العهد هنا يحتمل معنى الأمر والوصية على السنة الرسل، ومعنى الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم، والنهية عند التدقيق واحدة.

204 - أي في الترتيب لافي النزول.

الإقرار بعبودية الله جل وعلا، وهل ذلك إلا الإيمان بالله وحده وصدق الله العظيم (وقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الحديد: من الآية 8).

الإيمان بالكتب المنزلة

الركن الثالث من أركان الإيمان أن يؤمن المسلم بكتب الله التي أنزلها على رسله، ولقد حفل هذا الركن بالاهتمام في آيات كثيرة نزلت على رسولنا ﷺ أمره له بالإيمان بالكتب وداعية إلى ذلك. (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: 136).

وفي آخر سورة البقرة يقرر حقيقة إيمانية (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) (البقرة: من الآية 285).

ويأتي الأمر للرسول ﷺ في سورة آل عمران: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: 84).

وهكذا نلاحظ الاهتمام بهذا الجانب من جوانب العقيدة الذي لا يتم الإيمان دون تحقيقه، وفي سياق هذا الاهتمام جاء مصطلح العهد والميثاق في مجال الدعوة إلى الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله، وقد تنوعت الأساليب التي ورد فيها هذا المصطلح، تبعاً لأساليب القرآن البديعة الرائعة. ولقد شدَّ انتباهي كثرة الآيات التي وردت في مجال الإيمان بالكتب متضمنة لفظ العهد والميثاق مما أضفى أهمية على استعمال هذا المصطلح تكشف عن الدور (205) الذي يؤديه ضمن الأساليب القرآنية المتنوعة.

وأول آية ورد فيها لفظ العهد والميثاق جاءت في سياق الرد والتشجيع على الذين لا يؤمنون بوحى الله ويبحثون عن المطاعن التي يوجهونها لكتاب الله المنزل - القرآن - ليصدوا الناس عنه.

فمن وسائل المشركين وأعدائهم للصدّ عن دين الله أن روجوا لمقولة صدقها بعض المنافقين وتحمسوا لها، حيث قالوا: إن هذا القرآن ليس كلام الله وكيف يكون كلامه وفيه ألفاظ يتنزّه عنها الباري، ففيه ضرب الأمثلة بالعنكبوت وبالذباب، وهذا أمر لا يصدر عن الله، مما ينفي أن يكون هذا القرآن كلام الله (206). وهنا ردّ الله - سبحانه وتعالى - عليهم ردّاً حاسماً قاطعاً: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا فَوْقَهَا) (البقرة: من الآية 26) ولا شك أن هناك مؤمن ومكذب (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (البقرة: من الآية 26) ومن هؤلاء الفاسقون؟ (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) (البقرة: من الآية 27) وفي النهاية (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة: من الآية 27) عدم إيمان بوحى الله ونقض للعهد والميثاق والنتيجة كفر وضلال وفسق وخسران.

وفي آية أخرى يدعو سبحانه وتعالى بني إسرائيل للوفاء بالعهد الذي عاهدوا عليه، ومن صميم هذا العهد أن يؤمنوا بالتوراة، وفي التوراة وجوب الإيمان بمحمد ﷺ والكتاب المنزل عليه (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) (البقرة: 40، 41) هذا هو مقتضى العهد الذي بينهم وبين الله جل وعلا: إيمان بالمنزل، وعدم كفر وابتعاد عن الرشوة بالتوراة، وتحقيق ذلك تحقيق للتقوى (وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) (البقرة: من الآية 41).

وأخذ الميثاق على بني إسرائيل عند رفع الطور كان بالزامهم بأخذ التوراة والعمل بما فيها، وهل التوراة إلا أحد كتب الله المنزلة؟.

ولقد تكررت الآيات التي بينت أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالإيمان بالتوراة، إيماء
لأهمية الميثاق ووجوب الوفاء به: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا
آتَيْنَاكُمْ بَقْوَةً وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: 63).

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بَقْوَةً وَاسْمَعُوا) (البقرة:
من الآية 93) (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ) (النساء: من الآية 154) (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ
فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بَقْوَةً) (الأعراف: من الآية 171).

وفي مجال الإيمان بكتاب الله، يخاطب سبحانه بني إسرائيل مذكراً لهم بالمواثيق التي
أخذها عليهم ومبيناً مغبة تلاعبهم بكتاب الله، مدعين أن عملهم هذا وفاء بعهد الله
وميثاقه، والأمر ليس كذلك: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) (البقرة:
من الآية 83) (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) (البقرة: من الآية 84).

وبعد أن بين سبحانه نقضهم لتلك المواثيق هدهم قائلاً: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: من الآية 85) وهكذا نجد
التلازم القوي بين الوفاء بالعهد والميثاق وبين الإيمان بكتب الله وآياته المنزلة.

والحديث عن بني إسرائيل وما أخذ عليهم من مواثيق حديث طويل، ولكن القرآن
الكريم في سياق حديثه عنهم يركز على الربط المباشر بين عهودهم وكفرهم بكتب الله:
(أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة: 100) ما العهد
الذي نبذوه؟ (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (البقرة: 101) ويدعو القرآن الكريم
اليهود والنصارى للإيمان بالنبي المرسل والكتاب المنزل.

وذلك بعد أن ذكر تلك العهود والمواثيق التي أخذت عليهم، أمراً لهم بالإيمان بكتابه
ورسوله ناهياً أن يكونوا كأسلافهم الذين نقضوا العهود والمواثيق، ولقد تكرر لفظ الميثاق
ثلاث مرات تمهيداً لطلب الإيمان بالرسول والكتاب الذي معه.

(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (المائدة: من الآية 12) (فَبِمَا نَقُضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ)
(النساء: من الآية 155) وفي النهاية (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا
مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)
(المائدة: 15)

وزيادة بنو إسرائيل للتوراة، وتحريفهم لما فيها تبعاً لأهوائهم وانسياقاً وراء شهواتهم
يقف منها القرآن موقفاً حازماً مشنعاً فعلتهم ومذكراً لهم بميثاقهم: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ
يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ)
(الأعراف: من الآية 169).

ويأتي العهد والميثاق في سورة الرعد بصيغة بديعة تلفت الانتباه وتشد الأنظار وهي
تحمل الدعوة إلى الإيمان بكتاب الله المنزل بأسلوب قرآني رائع: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الرعد: 19) من هم؟ ما
صفتهم؟ بماذا يتميزون؟ (الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (الرعد: 20).

وهكذا ومن خلال ما سبق يبرز استعمال مصطلح العهد والميثاق في مجال الدعوة إلى
الإيمان بكتب الله المنزلة، وتذكير الذين كفروا من أهل الكتاب بما أعطوه من عهود وما
أخذ عليهم من موثيق بأن يؤمنوا بالتوراة وما فيها، ومقتضى ذلك أن يؤمنوا بالإنجيل
والقرآن، كما أن على أمة كل نبي أن تؤمن بالكتاب المنزل عليه وسائر كتب الله
المنزلة على أنبيائه، وأمة محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء وهي آخر الأمم من عقيدتها أن
تؤمن بالقرآن وجميع كتب الله المنزلة، وهذا من مقتضى العهد الميثاق.

الإيمان بالأنبياء والرسل

ورد استعمال مصطلح الميثاق في مجال وجوب الإيمان بأنبياء الله ورسله، وذلك في عدة
آيات في كتاب الله، فالميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل وذكر في القرآن مرات عديدة
كان يتضمن وجوب الإيمان برسول الله سبحانه وبالأخص نبينا محمد ﷺ حيث جاء اسمه

وصفته في التوراة، وقد سبق بيان ذلك في مبحث نوع الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل مما يعني عن الإعادة. ويشير القرآن إلى ذلك بقوله: (أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (البقرة: 100)، (101).

فالرسول ﷺ هو المصدق لما معهم، والذي معهم هو التوراة، وفي التوراة وجوب

الإيمان بالرسول ﷺ وقد أعطوا العهد وأخذوا عليهم الميثاق بالإيمان بها وما فيها.

وأخذ الميثاق على النبيين كان في مجال وجوب الإيمان برسل الله سابقهم ولا حقهم فالسابق يؤمن باللاحق ويشر به، واللاحق يؤمن بالسابق ويصدق بما جاء به (وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران: 81).

إنه من أهم المواثيق وأكدها وأشملها، فليس خاصاً بالنبيين بل الأمم مطالبة بما أخذ على أنبيائها من الإيمان والتصديق برسل الله فالميثاق ميثاقهم والعهد عهدهم (فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: 82) وبعد أن بين سبحانه الميثاق الذي أخذه على النبيين أمر محمداً ﷺ أن يؤمن بذلك، ويعلنه على الملأ: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ) (آل عمران: من الآية 84) وليس ذلك فقط، فلا يتحقق الميثاق إلا بإعلان: (لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: من الآية 136).

والذين استخدموا عهد الله⁽²⁰⁷⁾ ذريعة للتكذيب بالرسول يرد الله عليهم ما ادعوه

وما افتروه ويكشف لرسوله ﷺ أن هذا ديدهم وسنة فيمن كان قبلهم، يرثها المتأخر عن المتقدم ويورثها السابق لللاحق: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نؤمنَ لِرسولٍ حتَّى يأتينَا

207 - وصية الله وأمره، وهو داخل في الميثاق الذي أخذه عليهم.

بُقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (آل عمران: 183، 184).

ولقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل بالإيمان بمحمد ﷺ ولا يتم الإيمان به إلا أن يصاحب ذلك دعوة الناس إلى الإيمان به وبيان أنه على الحق، مستدلين على ذلك بما معهم من التوراة والإنجيل، مما لم يكن عند غيرهم من الأمم الوثنية التي كانت تنظر إلى اليهود والنصارى نظرة تقدير واحترام لدينهم الذي يتميزون به عن غيرهم (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: من الآية 187).

وجاء الميثاق في سورة النساء في سياق الآيات التي تتحدث عن وجوب الإيمان برسل الله جميعاً، مبيّنة كفر من فرق بين أحد منهم، مذكرة بني إسرائيل بالمواثيق التي أخذت عليهم في ذلك، يقول جل وعلا: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء: 150-152).

ثم يذكر الله سبحانه قصة أهل الكتاب مع موسى - عليه السلام - وأخذ الميثاق عليهم وماذا كانت النهاية؟ هل آمنوا بالله ورسوله؟ وهل عزروا الأنبياء ووقروهم؟ بهذا يكون الوفاء بالميثاق ولكن: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: 155) الآيات.

وتبين لنا آية الميثاق في سورة المائدة نوع ميثاق بني إسرائيل وما اشتمل عليه، فتذكر أن الإيمان بالرسول وإجلالهم ونصرهم من أهم بنود هذا الميثاق الذي لم ينفذ (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ

وَأَتَيْتُمُ الرِّكَاءَ وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ) (المائدة: من الآية 12) الآية.

ثم يبين أنه قد أخذ الميثاق على النصارى كما أخذه على اليهود، ولكن كما مرد أولئك على الكفر والعصيان سار هؤلاء على طريقتهم واستنوا بسنتهم السيئة، ومع ذلك فالله سبحانه يدعو من جاء بعدهم من أهل الكتاب للإيمان بهذا الرسول الكريم ﷺ ليبين لهم ما اختلفوا فيه، وما أخفوه من كتبهم، ويعفوا عن كثير مما كان عليهم، وبهذا يتم وفاؤهم بالميثاق الذي أخذه عليهم وعلى أسلافهم، وإلا فمصيرهم مصير من درج قلبهم، اللعن والطرد وقسوة القلوب، والعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وهذا ما كان منهم، فتحقق وعد الله فيهم ويوم القيامة سوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون.

وفي آية أخرى يذكر الميثاق وإرسال الرسل، وهذا يقتضي منهم أن يأخذوا الميثاق ويؤمنوا هؤلاء الرسل، ولكن الموقف هو الموقف، والأسلوب هو الأسلوب عند متقدّمهم ومتأخريهم (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) (المائدة: 70).

ويصف الله سبحانه الذين كذبوا الرسل وبما جاءوا به بالفسق وعدم الوفاء بالعهد وهي الخيانة بعينها: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) (الأعراف: 102).

وكما بيّن في سورة (آل عمران) أنه سبحانه قد أخذ الميثاق على النبيين بين ذلك - مرة أخرى - في سورة الأحزاب ولكن بصيغة أخرى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (الأحزاب: 7) وقد بيّنت أن هذا الميثاق يتضمن - كما أشارت آية آل عمران أن يصدق بعضهم بعضاً ويؤمن بعضهم ببعض.

وكما دعا المؤمنين في سورة الحديد إلى الإيمان به سبحانه دعاهم للإيمان برسوله ﷺ وذكرهم بالميثاق الذي أخذه عليهم ليكون أدعى للقبول والإجابة: (آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ

وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (الحديد:7)
(وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ) (الحديد:8).

وهكذا ترد آيات الميثاق في مجال الدعوة والإيمان بالرسول والأنبياء - عليهم الصلاة
والسلام - وقد وردت بأساليب عديدة وألفاظ متنوعة لتصل من خلال ذلك إلى تحقيق
هذا الهدف العظيم، فعدم الإيمان بالرسول نقض للعهد والميثاق، والإيمان برسول دون
رسول أو بنبي دون آخر كفر بواح وتفریق بين رسل الله، والمؤمنون يقولون ويعتقدون (لا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (البقرة: من الآية 285) وبهذا يكون أداء الميثاق والوفاء بالعهد
ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

الإيمان بالشرائع المنزلة

أرسل الله رسله وأنزل كتبه إلى البشرية بدين واحد، وعقيدة واحدة، لم تتغير ولم تتبدل
من لدن آدم - عليه السلام - إلى خاتم الأنبياء وصفوة المرسلين نبينا محمد ﷺ.
وإن كان هناك من اختلاف فهو في فروع الشريعة وما يتصل بها من أحكام وكما أن
شريعة النبي الواحد يدخلها النسخ فالشرائع كذلك، لأن لكل أمة ما يناسبها وما يلائم
حاجاتها ومصالحها، والله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير.

والقرآن الكريم يقرر في أكثر من موضع أن دين الله الإسلام: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ) (آل عمران: من الآية 19) (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (آل
عمران: من الآية 85) ونوح يقول لقومه: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يونس: من
الآية 72) ويقول الله عن إبراهيم الخليل: (وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا) (آل عمران: من
الآية 67) وموسى يقول لقومه: (يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ
مُسْلِمِينَ) (يونس: من الآية 84).

وإبراهيم وصى بنيه ويعقوب - أيضاً - : (يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا
تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (البقرة: من الآية 132).

والحواريون قالوا: (وَاشْهَدْ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: من الآية 52) والمسلمون أمروا أن يقولوا: (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: من الآية 136).

هذا هو دين الله أولاً وآخرًا، وماضيًا وحاضرًا، وهذا ما أخذ الله عليه الميثاق من البشر بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ومقتضى العبادة أن يكونوا مسلمين، ولكن الأهواء والشهوات تعصف في قلوب كثير من الناس فتختل عندهم الموازين، وتتغير المفاهيم، فيؤمنون برسول دون آخر، وبشريعة دون أخرى، فهاهم اليهود يدعون الإيمان بشريعة موسى ويكفرون برسالة عيسى بن مريم، واليهود والنصارى كل يدعي الإيمان بشريعته ويكفرون بما أنزل على محمد ﷺ إنه التعصب الأعمى والضلال المبين. ومن أجل بيان أن الشريعة واحدة، كما أن الرب واحد، أخذ الله الميثاق على الناس بالإيمان بجميع الشرائع المنزلة إيمانًا مجملًا، والشريعة الناسخة إيمانًا مفصلاً، وبعد أن ذكر الله الميثاق الذي أخذه على النبيين بأن يؤمن بعضهم ببعض وينصر بعضهم بعضًا، حكم على من خالف ذلك من الأمم بأنه من الفاسقين ثم قال سبحانه: (أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران: 83).

ثم أمر نبيه ﷺ أن يعلنها عقيدة واحدة: (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: من الآية 136).

وفي سورة المائدة ذكر الله ما أخذه على اليهود والنصارى من موثيق، ومما تتضمنه هذه الموثيق أن يؤمنوا برسول الله وما معهم من شرائع من عند الله، ولكنهم كفروا وتمردوا فنقضوا عهودهم وموآثيقهم، ويدعو الله - سبحانه - من كان من اليهود والنصارى على عهد رسول الله ﷺ أن يؤمنوا بهذا النبي وبشريعته التي معه وفيها لهم الخير والفلاح: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة: 16) ولكنهم نقضوا موآثيقهم وخانوا عهودهم - إلا القليل منهم - فكفروا بالإسلام وتولوا وهم معرضون.

ويأمر الله رسوله ﷺ أن يدعو أهل الكتاب قائلاً: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) (المائدة: من الآية 68) وذلك لما جاء بعض اليهود إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إنا نأخذ بما في أيدينا فإننا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك، ولا نتبعك، فأنزل الله هذه الآية⁽²⁰⁸⁾ مبيّنة أن الشريعة واحدة وكلها من عند الله فالكفر ببعض كفر بالكل، والكفر بواحدة كفر بالله جل وعلا، ثم ذكرهم بما أخذه عليهم من ميثاق: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا) (المائدة: من الآية 70) الآية.

وهكذا نرى مدى استعمال مصطلح الميثاق في مجال الإيمان بالشرائع المنزلة على أنبياء الله وأنها من عند الله، أولها يخبر عن آخرها، وآخرها يكمل أولها، ورب نوح - عليه السلام - هو الذي أرسل محمداً ﷺ وهو الذي بعث موسى - عليه السلام - وأمرنا أن ندعن له قائلين: (لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: من الآية 136). (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) (البقرة: 138).

وقد اتضح لنا فيما مضى المجالات التي تم فيها ورود مصطلح الميثاق في باب العقيدة، وتبين أثر هذا المصطلح في تقرير العقيدة، وبيانها والذود عن حماها، ودعوة الناس إلى الوفاء بعهودهم ومواثيقهم التي عاهدوا الله عليها، في الإيمان به وتصديق رسله وما معهم من كتب وشرائع.

المطلب الثاني: في العبادات

أمر الله سبحانه عباده بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وجاء الأمر بالعبادة مجملاً ومفصلاً، فنجد مثل قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: 56) وقوله: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ) (النساء: من الآية 36) وكما جاء الأمر بالعبادة مجملاً جاء مفصلاً كقوله جل وعلا: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (البقرة: 43) وقوله: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء: من الآية 73) وغيرها من الآيات، ومن هنا فإن من أوسع المجالات التي استعمل فيها لفظ العهد والميثاق مجال الأمر بالعبادة في فروعها المتنوعة، فنجد في أمر الله لبني إسرائيل بالوفاء بالعهد يقول لهم سبحانه:

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: من الآية 40) وبعد أن يأمرهم سبحانه بالإيمان بما أنزل وبينهاهم عن كتمان الحق، وكل ذلك من العهد الذي أخذه عليهم يقول لهم أمراً: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (البقرة: 43) وذلك من الوفاء بالعهد الذي طالبهم به، وخوفهم عاقبة التفريط فيه.

وفي بيان الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل يقول تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة: من الآية 83) ففي هذه الآية تضمن الميثاق جملة من الأمور التعبدية التي أمر الله بها بني إسرائيل أن يقوموا بها ويؤدوها على وجهها.

وفي سورة المائدة نجد أن الآية المباشرة لآية القيام للصلاة وكيفية الوضوء والتميم هي قوله تعالى: (وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ) (المائدة: من الآية 7).

وكما جاءت آية البقرة مبينة لنوع الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل جاءت آية المائدة كذلك مبينة الميثاق متضمنًا بالعبادة: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ) (المائدة: من الآية 12) وقد ذكر الله أخذ الميثاق على بني إسرائيل في سورة الأعراف، وبعد آية الميثاق مباشرة جاء قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (الأعراف: 170) ثم جاء بعدها متصلا بيان رفع الطور على بني إسرائيل وأمرهم بأخذ التوراة وإعطاء الميثاق على ذلك. ويأتي ذكر العهد في سورة التوبة بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي يحمل في ذاته التعجب: (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: 7).

ثم يذكر أسباب عدم جواز استمرار العهد وأنه لا بد من إنهائه عاجلا أم آجلا، ولكن القرآن بأسلوبه الرائع للوصول إلى غاياته ينقلنا نقلة أخرى يتغير معها الحكم والوصف: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) (التوبة: من الآية 11). لا عهد مع المشركين، ولكن إن تابوا وعبدوا الله حق عبادته بإقامة أهم أركان العبادة: الصلاة والزكاة، فإن لهم عهدًا آخر، وهو عهد الأخوة في الله، أقوى وثاقًا وأشد رباطًا.

ويأتي ذكر العهد - أيضًا - في ركن من أركان العبادة التي أمر الله بها، وهي الزكاة وسائر فروع النفقة في سبيل الله⁽²⁰⁹⁾ دليلًا على أهمية هذا الركن ووجوب أدائه، وسوء عاقبة من خان عهده في ذلك: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونُ نَنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) (التوبة: 75) الآيات .

209 - انظر تفسير الطبري 188/10.

وفي آية المبايعه في سورة التوبة يأتي وصف المؤمنين الذي يفون ببيعهم - وهو عهد مع الله - يشتمل على عدة أنواع من العبادة تؤهل صاحبها لنيل رضا الله والحصول على الجنة، وفاء بعهد الله ووعدده: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) (التوبة: من الآية 112)⁽²¹⁰⁾.

ثم هم مع ذلك يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، ومن صفات أولي الألباب الذين يفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق أهم: (صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد: من الآية 22).

وفي سورة (المؤمنون) وهو يعدد صفات المؤمنين نلاحظ أنه جاء بعد آية العهد مباشرة أن من صفاتهم المحافظة على الصلاة: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المؤمنون: 8، 9) وكأن هذا إيماء إلى أن الصلاة من العهد فهم يراعونها بالمحافظة عليها، وفي هذا المعنى جاء قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر" ⁽²¹¹⁾.

ومثل ذلك جاءت آية العهد في سورة المعارج حيث تلتها - بعد آية - آية المحافظة على الصلاة: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المعارج: 32-34).

وهذا تأكيد لما سبق ودليل على قوة صلة العهد بالعبادات، ومن هنا جاء استخدام مصطلح العهد والميثاق في مجال العبادات، حيث أن أمور الشريعة والعبادة والعقيدة شيء واحد يبتغي فيها المؤمن تحقيق مرضاة الله والوفاء بعهدده معه، لينال ما وعده الله به، وينجو

210 - سورة التوبة آية: 112.

211 - رواه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة 126/4.

من عذاب الله وعقابه الذي توعد به: (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة:27).

المطلب الثالث: في الأخلاق

من الأمور التي عنيت بها الشرائع السماوية على اختلاف أزمانها وأماكنها أن يتحلى
المتنمون إلى الشريعة بالأخلاق الفاضلة والصفات المثلى، والأخلاق: مجموعة من أنماط
السلوك الحسن تسود المجتمع ويتلبس بها الفرد، وبها عن طريقها تخلو المجتمعات من حوارم
المروءة وقبيح العادات.

ولقد جاء القرآن والسنة بالحث على حسن الخلق والتحلي بمكارم الأخلاق.
ويكفي هنا أن أشير إلى قوله تعالى مادحاً رسوله الكريم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)
(القلم:4).

أما الأحاديث فكثيرة جداً منها قوله ﷺ فيما يرويه عبد الله بن عمر: " إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً " رواه البخاري (212).

وروى البخاري تعليقاً قال: قال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي ﷺ - قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق (213).

وروى الإمام مالك عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " (214).

وروى - أيضاً - قوله ﷺ " بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ " (215).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ " إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله " (216).

مما مضى يتضح مدى اهتمام الإسلام بالأخلاق الفاضلة لما لها من أثر قوي على بنية المجتمع المسلم وقوة الدولة الإسلامية. ومن هنا فقد جاء العهد والميثاق في القرآن الكريم في مجال الالتزام بالأخلاق النبيلة والسلوك الحسن، ففي سورة البقرة يأمر الله بني إسرائيل بالوفاء بالعهد، والوفاء خلق رفيع، كما أن الغدر والخيانة خلق ذميم: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) (البقرة: من الآية 40).

وعندما كذب بنو إسرائيل وتألوا على الله - وهذا من أحسن الأخلاق - ردّ الله عليهم ردّاً كشف كذبهم ودنايتهم حتى مع الله جل وعلا. (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: 80) وقد تضمن الميثاق الذي أحذه الله على بني إسرائيل بعض الأخلاق

212 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق 16/8.

213 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق 16/8.

214 - الموطأ، كتاب حسن الخلق - ص 563، قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي محقق ومخرج أحاديث الموطأ: الحديث حسن، بل صحيح أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

215 - الموطأ، - كتاب حسن الخلق - ص 564، قال ابن عبد البر: هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة.

216 - المسند 47/6.

التي يجب أن يتحلوا بها (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة: من الآية 83) ثم اتضح لنا أنهم ارتكبوا خطيئة ذميمة، وهما عدم التحلي بتلك الأخلاق الفاضلة وأشد من ذلك نقضهم الميثاق وعدم الوفاء به (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) (البقرة: من الآية 83).

وإذا كانت الكلمة السيئة تعبر عن سوء الخلق فكيف بقتل الإنسان لأخيه الذي هو في مقام النفس لقربه ووجوب القيام بحقه، وإيذاء المرء لجاره خلق ذميم وأساء منه إخراجها من داره بدون حق، لذلك أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل بالكف عن هذه الأخلاق الدنيئة، بل وأقرهم على ذلك تأكيداً واهتماماً. (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) (البقرة: 84) ولكن يأبي اليهود - كعادتهم - إلا الشقاق وسوء الأخلاق⁽²¹⁷⁾. وكل الآيات التي جاءت مبينة نقض العهد والميثاق من قبل من أخذ منهم تدل على اتصاف أولئك بأسوأ الأخلاق وأقبحها (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة: 93) (أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة: 100).

(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران: 77). (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) (الأنفال: 55، 56).

وفي المقابل يصف القرآن الذين يوفون بالعهد بأحسن الصفات ومكارم الأخلاق: (وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

217 - انظر الآية [85] حيث بينت مال الميثاق.

صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: من الآية 177)⁽²¹⁸⁾ (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران: 76) (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: 1-8).

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) (الأحزاب: من الآية 23، 24).

ونقض الميثاق يؤدي إلى سوء السلوك والأخلاق: فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) (المائدة: من الآية 13) ومع هذه الأخلاق المتراكمة كظلمات بعضها فوق بعض يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يقابل ذلك بحسن الخلق والصبر والتحمل: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة: من الآية 13) ما أروع هذا القرآن كيف يربي الرجال.

واستمراراً لورد العهد والميثاق في مجال بناء الأمة على الأخلاق السامية يأمر الله عباده على لسان نبيه ﷺ بعدد من الوصايا التي تكون جيلاً ذا خلق رفيع، ثم يختتم تلك الوصايا الخالدة بقوله سبحانه: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأنعام: من الآية 152)⁽²¹⁹⁾.

فالوفاء بالعهد ضماناً لأداء تلك الأوامر واجتناب ما ورد من نواهي ومن ثم يكون الانقياد والطاعة وحسن الخلق، وإخلاف العهد نقض للعهد، ينحط بصاحبه إلى أسوأ البشر أخلاقاً - وبخاصة إذا كان العهد مع الله - فإن المتصف بتلك الصفة ينتقل من مجتمع

218 - جاءت هذه الآية مبينة ما البر، حيث قال تعالى: (ولكن البر من آمن بالله) الآية، والبر حسن الخلق.

219 - سورة الأنعام: الآية (152) وانظر الآية التي قبلها حيث ابتدأت (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآية (151).

الصادقين المتقين إلى تجمع المخادعين الكاذبين من المنافقين: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (التوبة: 77).

وفي حالة عصبية مرت على أولاد يعقوب يتشاورون أي طريق يسلكونه للتخلص من المأزق الذي هم فيه، يذكرهم كبيرهم بخلق رفيع لئلا ينجرفوا مع حل قد ينجيهم ظاهراً، ولكنه ينافي مقومات الوفاء والأخلاق، ولئن كانوا وقعوا في الكذب في قصة يوسف فلا يجوز الأمر هنا، لأن موثقاً قد تم بينهم وبين أبيهم والله شاهد عليه ووكيل: (قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) (يوسف: من الآية 80).

إذا ما الحل وأين المخرج؟ يجيبهم: عليكم بالصدق فهو منجاة: (فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) (يوسف: من الآية 81) وهكذا يكون الميثاق سبباً للالتزام بجميل الأخلاق.

وفي سورة النحل يأمر الله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وكلها صفات خلقية حميدة، وينهى عما يقابلها من الفحشاء والمنكر والبغي، ثم يعقب ذلك بقوله: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) (النحل: من الآية 91).

ومثال ذلك في سورة الإسراء حيث يأمر الله بخصال حميدة، وينهى عن عدة خصال من الخصال الذميمة التي لا يجوز للمسلم أن يقرب منها أو يقتربها، وقبل أن ينهى تلك الخصال يقول سبحانه: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (الإسراء: من الآية 34).

ثم تواصل الآيات النهي عن بقية الصفات التي تتنافى مع دين المؤمن وخلقته، وتأميره بمحامد الأخلاق وأحسنها. والذي كفر بآيات الله وكذب في دعواه غروراً وخطراً

وتبجحاً وتعالىاً على المؤمنين، يرد الله ما ادعاه وافتراه ويكشف عن خلقه الذميمة، ويتوعده بأشد العذاب: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا) (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كُلًّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) (مريم: 77-79).

وهكذا نجد مصطلح الميثاق يؤدي مهمة أساسية في الحث على مكارم الأخلاق
وتخليص الفرد والمجتمع من الصفات الفاسدة التي متى ما شاعت في أمة فهي نذير الهلاك
والزوال والاضمحلال، وصدق الشاعر:
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا (220)

المطلب الرابع: المعاملات

التعامل بين الأفراد ركيزة أساسية من ركائز بنية المجتمعات، والتعامل بين المجتمعات دعامة
قوية من دعائم بناء الدولة والحكومات.
ولقد عنيت النظم قديماً وحديثاً في تنظيم هذا الأمر ضمن إطار يحقق المصالح ويجنب
الشقاق والنزاع، ولم تعرف البشرية ديناً أو نظاماً كفل حقوق الأفراد ووضع الأسس

220 - البيت لأحمد شوقي.

التي يسير عليها الناس في تعاملهم كما تم في الإسلام، فقد حظي هذا الجانب بعناية فائقة شأن الإسلام في كل شؤون الحياة، ولقد بلغ الاهتمام في هذا المجال حدًا يصوره لنا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، حيث يكشف لنا عما وصل إليه المجتمع المسلم من أسلوب رائع في التعامل نتيجة لتلك الأسس التي بنيت عليها الدولة الإسلامية، يقول رضي الله عنه في الحديث الذي يرويه عنه البخاري في صحيحه: ولقد أتى علي زمان ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيًا رده علي ساعيه (221).

ولقد جاء العهد والميثاق في القرآن الكريم في إطار تنظيم التعامل بين الناس لتحمل الثقة والأمانة مكان التوجس والخوف والخيانة، ونجد قوله تعالى في سورة آل عمران: (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران: 76) قد جاء بعد أن ذكر لنا سبحانه واقع أهل الكتاب من حيث التعامل معهم (وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) (آل عمران: من الآية 75) الآية.

وهذا دليل قوي على أن التعامل والتقايض نوع من العهود يجب الوفاء به، وأي خلل في ذلك فهو خيانة ونقض للعهود.

وتأتي آية المائدة مؤكدة هذا الأمر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (المائدة: من الآية 1).

والزواج والطلاق نمط من أنماط التعامل البشري يحتاج إلى ضمانات قوية تضيء على طرفي العقد الود والوئام بعيدًا عن أي محاولة للمكر والخداع.

ونلمس قوة هذا العقد وأهميته في ميزان الإسلام عندما نقرأ سورة النساء: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)

221 - صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس 66/9.

(النساء:20،21) وهذا ما أكد المواثيق التي جاءت في القرآن، وسياق الآية يدل على الاهتمام البالغ به.

وفي وصايا سورة الأنعام يجمع بين إيفاء الكيل والميزان وبين الوفاء بالعهد مما ينبئ عن قوة العلاقة بينهما: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأنعام: من الآية152).

ويعقب الأمر بالوفاء بالعهد في سورة النحل الأمر بالعدل والنهي عن البغي، والتعامل بين الناس إن لم يصاحبه العدل كان بغيًا وعدوانًا: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) (النحل: من الآية90،91).

أما في وصايا الإسراء فيأتي الأمر في الوفاء بالعهد ثم يعقبه مباشرة الأمر بالوفاء بالكيل والوزن بالعدل، وهذا يؤكد مدى قوة العلاقة بينهما كما قلت في وصايا سورة الأنعام: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (الإسراء:34،35).

والأمانة من أهم أشكال التعامل وأخطرها، ومن هنا نجد العناية بها، حيث نلاحظ الجمع بينها وبين رعاية العهد في موضعين من القرآن، مع أن الآيات السابقة لهذه الآية في الموضوعين واللاحقة كذلك كل آية منها استقلت في موضوع واحد، بينما جمعا في آية واحدة، وهذا لم يأت عبثًا - وحاشا لله عن ذلك - وإنما للرباط القوي بين معناهما فالأمانة عهد والعهد أمانة: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون:8). وهكذا يتعامل المسلم مع أخيه أو مع غيره والميثاق والعهد بينه وبين الله يجرسه، فلا بغي ولا عدوان ولا ظلم ولا خيانة، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه: وإلى الله عاقبة الأمور.

ا: في القضايا الاجتماعية

انطلاقاً من عناية الإسلام في بناء المجتمع المسلم الصالح، جاء الاهتمام في كل قضية تتعلق بالأسرة والمجتمع، وتوالت الآيات والأحاديث التي ترصد كل صغيرة وكبيرة في كيان الأمة الإسلامية في طور نشأتها الأولى، حتى قام صرح شامخ قوي البنيان متين الأركان، لا تهزه العواصف، ولا تفككه الرياح، تهابه الأعداء، وتحسب له ألف حساب، ومن تلك الوسائل التي كونت دعامة أساسية في بناء هذا المجتمع، تلك العناية الفائقة التي أولاهها القرآن الكريم لهذه الأمة تربية وإعداداً، ومن ذلك الآيات التي جاءت تعالج القضايا الاجتماعية، وتكون أسسها ومنطلقاتها، وفي هذا المجال جاء مصطلح العهد والميثاق لبنة قوية من تلك اللبنة المباركة.

ففي سورة البقرة يبين لنا الله سبحانه ما أخذه على بني إسرائيل من ميثاق يتضمن عدداً من القضايا الاجتماعية الأساسية؛ فالبر بالوالدين، وصلة الأرحام، والعطف على اليتامى، والإحسان على المساكين، والقول الحسن لجميع الناس، أمور يجب أن يتحلى بها الأفراد ويلتزم بها المجتمع، فهي من صميم تركيبة البناء: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ) (البقرة: 84).

وتأتي الآية التي بعدها مبينة أخذ الميثاق - أيضاً - في قضيتين اجتماعيتين هامتين: عدم جواز قتل الإنسان لأخيه مثلما أنه لا يحل له قتل نفسه، فالحكم واحد والنتيجة واحدة، وكذلك لا يجوز له أن يخرج أخاه من داره وبلده، أو أن يرتكب عملاً يؤدي إلى إخراجه هو من مسكنه وبلده: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ) (البقرة: 84).

ويجعل الإخلال بهذا الميثاق كفر يستحق صاحبه أشد العذاب (أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) (البقرة: من الآية 85).

وقضية الزواج والطلاق قضية اجتماعية - كما هي مسألة تعاملية - يؤخذ الميثاق الغليظ على جزئيه فيها مما يدل على خطورتها وأثرها: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (النساء: 20، 21)⁽²²²⁾.

وما حدث بين يعقوب وبين أبنائه مثال رائع على ما أتحدث عنه: (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (يوسف: 66) (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) (يوسف: من الآية 80) فالميثاق كان عاملاً حاسماً في بداية ونهاية هذه القضية الاجتماعية.

وأولو الألباب - كما في سورة الرعد - هو الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وهم كذلك يتصفون بصفة لازمة للصفة الأولى وهي أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل من صلة الوالدين والأرحام وحقوق الجوار وغيرهما مما أمر الله به: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (الرعد: 20، 21) وضد أولئك من نقض عهده وقطع رحمه وأخل بما أمر الله به.

وهكذا تتضح لنا معالم استعمال العهد والميثاق في القضايا الاجتماعية، تنويهاً للاهتمام بها ورعايتها ولما يؤدي التفريط بها من مفاسد تعصف ببنية المجتمع وكيانه.

وأخيراً: فمما سبق اتضح لنا المجالات التي استعمل فيها مصطلح الميثاق في القرآن الكريم، وتبين لنا الأثر الفعّال لورود والميثاق في تلك المجالات مما سنفصله في المبحث القادم - إن شاء الله -.

المبحث الرابع: الوفاء بالميثاق:

المطلب الأول: حكم الوفاء بالميثاق .)

دلت الآيات والأحاديث الصحيحة على وجوب الوفاء بالميثاق، وبيّنت شناعة جرم من نقضه، أو أحل به، وقد يصل الإخلال به إلى الكفر كما حدث لبني إسرائيل وغيرهم. وسأذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب احترام الوفاء بالمواثيق.

أولاً: الآيات:

قال تعالى:

(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (المائدة: من الآية 13).

وفي سورة الرعد: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (الرعد: 20).

والآيات صريحة الدلالة على وجوب الوفاء وحرمة الغدر والخيانة، وجميع الآيات التي ورد فيها لفظ الميثاق تدل على ذلك المنطوق أو بالمفهوم.

ثانياً: الأحاديث:

وردت أحاديث كثيرة في وجوب الوفاء بالعهد وإثم من نقض ميثاقه أو غدر. بما عاهد عليه.

فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ "أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها" (223).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل" - رواه البخاري (224).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لكل غادر لواء يوم القيامة " - رواه البخاري (225).

223 - صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر 124/4.

224 - صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر 124/4.

و ثبت عنه صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يجلن عقدة ولا يشدّها حتى يمضي أمدّه، أو ينبذ إليهم على سواء " - رواه الترمذي (226).

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: " لكل غادر لواء عند أسته يوم القيامة " - رواه مسلم (227).

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال " إن الغادر ينصب الله له لواء يوم القيامة، فيقال: ألا هذه غدرة فلان " رواه مسلم (228).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا، والسنة الفعلية تشهد لذلك، ومن هنا فإن وجوب الوفاء بالعهد والميثاق أمر واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان، ونقضهما محرم بصريح الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: آثار الوفاء بالميثاق

225 - صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر 127/4.

226 - سنن الترمذي، أبواب السير، باب ما جاء في الغدر 71/3، وقال محققا زاد المعاد 125/3: إسناده صحيح.

227 - صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر 142/5.

228 - صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر 142/5.

جعل الله لكل عهد جزاء ولكل فعل أثر، والخوف والرجاء من صفات النفس البشرية، فهناك نفس تنقاد مع الوعد وأخرى تخشى الوعيد، والمؤمن يعيش دائماً بين الرجاء والخوف.

وباستقراء آيات العهد والميثاق نلاحظ الآثار التي قد رتبها الله سبحانه وتعالى على الالتزام بالعهد والميثاق، كما نلاحظ تنوعها وتعددتها، فهناك الآثار التي تخص الفرد وأخرى تعم الجماعة، بعضها في الحياة الدنيا وأخرى يوم القيامة. وسأذكر تلك الآثار مقتصرًا على ما جاء مصرحًا به، مما يعطي الدلالة على أهمية الوفاء بالعهد والميثاق، وحسن الجزاء الذي ينتظر الموفين بعهدهم، والصفات المثلى التي يستحقونها، والمآل الكريم الذي وعدهم الله به رحمة منه وفضلا، مراعيًا الاختصار والاقتصار.

1- الإيمان وردت آيات كثيرة تنفي الإيمان عن الناقضين لعهدهم وتصفهم بالكفر - كما سيأتي تفصيل ذلك في المبحث القادم - وفي المقابل وصف الله سبحانه وتعالى الموفين لعهدهم وموآثيقهم بالإيمان، والإيمان أثر تنبثق منه آثار كبرى، فإذا آمن الفرد حقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة، والمجتمع الذي يسوده الإيمان ويحكمه الإسلام، مجتمع آمن مستقر، ترفرف على جنباته الطمأنينة ويعمه السلام.

نجد في سورة (المؤمنون) وصفاً للمؤمنين، ومن أحص تلك الصفات (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون:8) فرعاية العهد والأمانة من صفات المؤمنين الصادقين، والتخلي عن تلك الصفة إخلال بهذا الوصف وقدح بالموصوف، ورعاية العهد هنا تشمل العهد العام والخاص، فكل ما صدق عليه لفظ العهد فرعايته من الإيمان.

وفي سورة الحديد يأتي الخطاب بأسلوب الاستفهام الذي يوقظ الحس ويثير المشاعر (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الحديد:8) يتردد لفظ الإيمان ثلاث مرات بصيغ مختلفة في آيه واحدة " لا تؤمنون.. لتؤمنوا.. مؤمنين " .

والوفاء بالميثاق هو الذي يحقق الإيمان، والموفون بعهدهم وميثاقهم هم المؤمنون. وبهذا يدرك المسلم أي أثر يناله جزاء لوفائه، وأي نعمة يغتنمها تحقيقاً لوعده الله، وماذا يريد المسلم أعظم من الشهادة له بالإيمان، ومن الذي يشهد له؟ أنه الباري جل وعلا: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) (المؤمنون: 1) (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: 8) والإيمان وصف يستلزم آثاراً عظيمة في الدنيا والآخرة: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: 10، 11).

2- التقوى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل (229).
وقيل: التقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية (230).

التقوى: كلمة نسمعها كثيراً، ونعقلها قليلاً، وقد وردت كلمة التقوى في القرآن الكريم بتصاريفها المتنوعة أكثر من مائتي مرة.
وكثرة ورودها تدل على الأهمية القصوى لدلولها. وإن اختلف العلماء في معناها وتعريفها، فهم يتفقون في مآلها وثمرتها.

صفة التقوى خاصة تتعطش لها النفوس المؤمنة، وتسعى لتحصيلها القلوب السليمة، لما لها من أثر حسن وعاقبة حميدة. ولقد جاءت التقوى أثراً من آثار الوفاء بعهد الله، وثمره من ثمرات الالتزام بميثاقه.

ففي سورة البقرة يخاطب الله سبحانه - بني إسرائيل: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: 63) فالتقوى ليست أمراً مشاعاً لمن غدا أو راح، وإنما هي ثمن كريم وأثر عظيم لمن قام بعمل جليل، فأخذ التوراة التزاماً بالميثاق يؤدي إلى التقوى.

229 - انظر كتاب التقوى في القرآن.

230 - انظر كتاب التقوى في القرآن.

وفي السورة نفسها يذكر الله عدة صفات كريمة شريفة يحتمها بذكر عاقبة المتصفين بتلك الصفات، ونجد أن الوفاء بالعهد بعد الوعد من صفات المتقين الصادقين (وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) (البقرة: من الآية 177) (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: من الآية 177).

وفي سورة آل عمران نجد ثبات حب الله للمتقين، ولا يثبت الحب للموصوف إلا بعد ثبات الصفة، وهي التقوى ولمن؟ للموفين بعهدهم: (بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران: 76).

وكما جاء في آل عمران يأتي ما يؤكد في سورة التوبة في آيتين متقاربتين (فَأْتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: من الآية 4) وكما أن إتمام العهد من التقوى فإن الاستقامة عليه تؤدي إليها (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: من الآية 7).

ومن هنا يأخذنا هذا الأسلوب الرائع في عرض الثمرة والأثر مما لا يجد معه المسلم بدءاً من الالتزام بعهد الله وميثاقه.

3- محبة الله محبة الله ورضاه غاية الغايات ونهاية المقاصد والحاجات فإذا رضي الله على عبد وأحبه أدخله جناته ووقاه عذابه، وأكرمه في دنياه وأحراه.

ولقد أثبت الله محبته للمتقين الموفين بعهدهم، المستقيمين على عهدهم وموآثيقهم حتى مع أعدائهم ما استقاموا هم على تلك العهود.

(فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: من الآية 7) وقبلها بآيتين: (فَأْتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: من الآية 4). وفي سورة آل عمران: (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران: 76).

وبهذا تكون محبة الله ثمرة من ثمار الوفاء بالعهد وأثراً من آثار الالتزام بالميثاق، ونعم الثمرة لتلك الشجرة، وطوبى لعبد ظفر بمحبة الله ورضوانه، لقد جمعت له السعادة من طرفيها، وفاز فوزاً لا يشقى بعده أبداً.

5- حصول الأمن في الدنيا وصيانة الدماء لم تقتصر آثار الوفاء بالعهد والميثاق على المسلمين وحدهم، وإنما شمل عدل الله الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام ولهم عهود مع أولئك المسلمين، فجاءت الآيات صريحة بوجوب الوفاء لهم وصيانة دمائهم بل إن قتلهم الذي يقتل خطأ من قبل المسلمين له مثل ما للقتيل المسلم سواء بسواء، وأكثر من ذلك أن الكافر الذي يطارده المسلمون لقتله عندما يلجأ إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، ويدخل تحت حكمهم، يعصم دمه ويضع حداً لطلبه.

يقول تعالى مبيناً حكم بعض المنافقين: (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) (النساء: 89) ومع هذا النهي الحاسم والأمر الجازم بالقضاء عليهم ومقاطعتهم ينقلنا القرآن نقلة قوية تضع استثناء لما سبق: (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) (النساء: من الآية 90).

ومن هنا نلمس أن أثر الوفاء بالميثاق لم يقتصر على من عقد معه ووفى به، وإنما تعداه إلى آخرين أرادوا صيانة دمائهم المهذرة، فلم يجدوا بداً من اللجوء إلى هؤلاء.

وفي الآية التي جاءت لبيان حكم قتل الخطأ وما يترتب عليه من دية وكفارة نقف أمام عظمة هذا الدين عندما يساوي دية الكافر⁽²³¹⁾. الذي يقتل خطأ وهو من قوم معاهدين

بديعة المسلم المقيم في دار الإسلام: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ

231 - هذا على الراجح من أقوال المفسرين، حيث ذهب بعضهم إلى أنه لا بد أن يكون مسلماً عند قوم معاهدين، وذهب آخرون إلى أنه لا يشترط أن يكون مسلماً لأن الآية سكنت عن ذلك في الوقت الذي صرحت بكونه مسلماً في الحالتين السابقتين. وهذا ما اختاره الطبري ورد على المخالفين. انظر تفسير الطبري 208/5.

لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) (النساء: من الآية 92).

ويبرز أثر الوفاء بالعهد والميثاق في هذه الآية عندما نلاحظ أن دية المسلم المقيم عند الكفار غير المعاهدين أقل من دية الكافر المقيم عند قوم معاهدين.

وفي سورة الأنفال يعطي أمناً صريحاً لمن لهم ميثاق حقناً لدمائهم وصيانة لأهلهم وأموالهم، فالذين آمنوا ولم يهاجروا إن استنصروا المؤمنين في الدين فتجب نصرتهم وحمائتهم إلا في حالة واحدة، إذا كان هذا الاستنصار موجهاً ضد من للدولة المسلمة معهم عهد وميثاق، فهنا لا نصره ولا مساعدة، وحق أولئك المعاهدين أولى من حق هؤلاء المؤمنين:

(وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُم فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال: من الآية 72).

وفي سورة التوبة يأمرنا سبحانه وتعالى بالاستقامة على العهد ما استقاموا على عهدهم (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: من الآية 7).

وهذا يعطي المعاهدين ضماناً قوية وأمناً راسخاً لا يشوبه خوف غدر أو نقض عهد من قبل المسلمين.

ومما سبق نلمس هذا الأثر العظيم على حياة من يرتبط مع المسلمين بعهد أو ميثاق، فإنه يدرك أي أمن يعيش فيه، وأي حياة مستقرة يجيهاها، فلا خوف على نفسه أو أهله أو مجتمعه من الدولة المسلمة، ولقد اعترف كثير من غير المسلمين بأنهم يأمنون المسلمين أكثر مما يأمنون أهل دينهم وبني جلدتهم، ولذلك فقد سجل التاريخ بصفحات بيضاء أمثلة رائعة لهذا الأمر⁽²³²⁾ حتى أتى الكفار إلى المسلمين يطلبون منهم العهد والميثاق، لما مسوه من أثر إيجابي يتخلى في سلوك المسلمين وأخلاقهم.

6- الحياة الطيبة والجزاء الحسن والأجر العظيم

232 - سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك في العهود التي تمت مع المشركين، وكتب التاريخ مليئة بمثل هذا الأمر على مرّ العصور الإسلامية.

بعد أن أمر سبحانه في سورة النحل بالوفاء بالعهد ونهى عن نقض الإيمان بعد توكيدها، وحث على الصبر على ذلك. ثم أكد على العهود مرة أخرى (233) بين عاقبة الصابرين وما أعد لهم من جزاء حسن، ثم جاء بأسلوب بديع يشير إلى - جزاء من عمل صالحاً - والوفاء بالعهد من العمل الصالح (234) حيث وعده بالحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة.

(وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: 96، 97).

وفي سورة الأحزاب يعد الله الموفين بعهدهم بجزء عظيم يجمله سبحانه ولا يفصله - زيادة في التشويق وبياناً لعظم الأجر: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) (الأحزاب: 23، 24).

وفي سورة الفتح يعد المولى جلّ وعلا بالأجر العظيم لمن وفى بعهده (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: من الآية 10).

وهكذا نلمس هذه الآثار الجليلة العظيمة جزاء للوفاء بالعهد والميثاق، فالحياة الطيبة والجزاء الحسن والأجر العظيم كلها تنتظر هؤلاء الأوفياء الصادقين، وأي أثر أعظم من أن يجمع للإنسان بين سعادة الدنيا والآخرة.

7- تكفير السيئات وإدخال الجنات:

من الآثار التي وردت في أكثر من آية جزاء لمن وفى بعهده والتزم بميثاقه الوعد بدخول الجنة وتكفير السيئات، نجد هذا في قوله تعالى في سورة البقرة: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

233 - انظر الآيات [91-95].

234 - انظر تفسير الطبري 170/14 حيث فسر العمل الصالح هنا بالوفاء بالعهد وعمل الطاعات.

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ (البقرة: من الآية 40) قال ابن جرير: وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة (235).

وفي سورة المائدة ذكر الله سبحانه أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل، ثم بين هذا الميثاق وذكر الجزاء على الوفاء به (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (المائدة: من الآية 12).

وفي سورة الرعد لما ذكر صفات أولي الأبواب ذكر منها أنهم يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، ثم بين عاقبة هؤلاء فقال: (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد: 22-24).

وبعد أن ذكر صفات المؤمنين في سورة (المؤمنون) ومنها أنهم: (لَأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: من الآية 8) ذكر ما لهم فقال: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: 10، 11).

ومثل ذلك في سورة المعارج حيث قال مبيناً جزاءهم: (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ) (المعارج: 35).

وهكذا يبرز هذا الأثر، ويعرض بصور متعددة مشوقة، تدعو المؤمن وتحثه على السعي جاداً للظفر بهذا الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، ويكون أمام عينيه وهو يعرض بنواجذه على ميثاقه، ويحث الخطى موفياً بعهده ليفي له الله بوعدده، ولينال عقبي الدار، وارثاً للفرديوس ومكرماً في جنات النعيم.

وبعد:

فللوفاء بالعهد والميثاق آثار أخرى سوى ما سبق، وردت في عدة آيات من كتاب الله، كوصفهم بأنهم أصحاب العقول السليمة: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (الرعد: 19، 20).

ووصفهم بالصدق في قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) (البقرة: من الآية 177).
بعد ذكر الموفين بعهدهم إذا عاهدوا، وأن عملهم من البر فهم أبرار.
ومما سبق تتضح لنا أهمية الوفاء بالعهد والميثاق، وما يترتب على الوفاء من آثار كبيرة
في الدنيا والآخرة.

وأشير هنا إلى أن تلك الآثار يستلزم بعضها بعضاً، سوى ما يتعلق بالكفار، أما ما
عدى ذلك فإنها مترابطة متكاملة فالذين يوفون بعهدهم وموآثيقهم يشهد لهم الإيمان -
إن كانوا ممن دخل في الإسلام -، وهم من المتقين الصادقين، ويحبهم الله فيكفر عنهم
سيئاتهم ويدخلهم الجنة، وقبل ذلك يحيون حياة طيبة هائلة في الحياة الدنيا، حياة يعمرها
الإيمان والتقوى، وهم في الآخرة حسن المآب.
ولا يقدر أهمية تلك الآثار إلا أولوا الألباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق.

المطلب الثالث: آثار نقض الميثاق

كما أن الوفاء بالميثاق له آثاره الكبيرة، فإن نقض الميثاق يترك آثاراً كبرى تؤدي بصاحبها إلى الخسران والبوار.

وإذا كانت الآثار الإيجابية حافزة وداعية المسلم للالتزام والوفاء، فإن الآثار السلبية أشدّ إنذاراً وتحذيراً وتخويفاً، والعقوبة أكثر تأثيراً في النفس البشرية من الإغراء وحسن الجزاء. ومن هنا ندرك بعض الحكمة في أن الآيات التي جاءت لبيان الآثار السلبية أكثر من الآيات التي وردت مبينة الآثار الإيجابية للوفاء بالميثاق.

ولقد تتبعنا آيات الميثاق آية آية، ووقفت على تلك الآثار التي رتبها الله سبحانه وتعالى على الإخلال بالعهد وجعلها جزاء لمن نقض الميثاق.

وهذه الآثار منها ما يكون في الدنيا، وأعظمها ما سيكون في الآخرة. وقمت بحصر تلك الآثار، وأدخلت بعضها ببعض حسب تشابهها، وسأذكر كل أثر بأدلتها ملتزماً بالإيجاز والاقتصار على ما نص عليه في القرآن الكريم، حسب المنهج الذي سلكته في الآثار الإيجابية.

1- الكفر ونفي الإيمان:

قرن الله سبحانه وتعالى بين الكفر ونقض العهد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ولا شك بكفر من نقض عهده مع الله وأخلّ بميثاقه الذي أخذه عليه في ظهر آدم وعلى ألسنة أنبيائه ورسله، ومن هنا جاء نفي الإيمان عن الناقضين لعهودهم، زجرًا لهم وتهديدًا وإنذارًا.

ففي سورة البقرة يخاطب الله تعالى بني إسرائيل مذكراً لهم بالميثاق الذي أخذه عليهم ومبيناً الحال التي آلوا إليها: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة: 93)

وفي السورة نفسها ينفي الإيمان عن النابذين لعهودهم: (أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة:100)⁽²³⁶⁾.

وفي سورة النساء يعرض القضية بأسلوب آخر تحمل المعنى نفسه: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء:155)⁽²³⁷⁾ (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) (النساء:156).

وتأتي الآيات في سورة التوبة قوية شديدة على أولئك الكفار، أمرة المؤمنين بأمر حاسم لا تردد فيه:

(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (التوبة:12).

وتستمر الآيات مبينة كفر من كذب بعهد الله وميثاقه: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) (الأحزاب:7، 8).
وبأسلوب الاستفهام تأتي آية سورة الحديد: (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الحديد:8).

وهكذا تبدو معالم نقض العهد والميثاق مخيفة، وآثاره مدمرة، فأى حياة بلا إيمان، وما قيمة الإنسان وقد خرج عن الهدف الذي خلق من أجله، (إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (الفرقان: من الآية44).

2- الفسق:

236 - الآية 100 وانظر تفسير الطبري 443/1 حيث ذكر أن الناقضين لعهد الله أكثر من الموفين، ولذلك فغير المؤمنين أكثر من المؤمنين وذكر أن ذلك أحد وجهي تأويل الآية.

237 - هذا الإيمان القليل هو تصديقهم ببعض الأنبياء والكتب وهو إيمان قليل لأنه تصديق غير متمكن، ولأنه لو كان تصديقًا حقيقيًا لدعاهم إلى الإيمان بالجميع، لأن الأنبياء يصدق بعضهم بعضًا، والكتب تدعو إلى ذلك، ولذلك فهو إيمان كلا إيمان. انظر تفسير الطبري 10/6.

الفسق هو الخروج عن طاعة الله ويطلق ويراد به ما دون الكفر كما في قوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) (الأنعام: من الآية 121).
ويأتي بمعنى الكفر كما في قوله تعالى: (مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: من الآية 110) وقوله: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) (السجدة: من الآية 18)⁽²³⁸⁾.

والآيات التي جاءت مبينة فسق من نقض العهد والميثاق وردت بمعنى الكفر، وذلك تأكيد لما سبق من بيان كفر من تخلى عن العهد والميثاق⁽²³⁹⁾ ففي أول آية جاء فيها لفظ العهد والميثاق حكم الله على الناقضين بالفسق فقال: (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) (البقرة: من الآيتين 26، 27) الآية.

وأكد هذا المعنى في سورة آل عمران عندما ذكر ما أخذه على النبيين من عهد وميثاق، حيث طلب من الأمم الإقرار والتصديق ثم قال: (فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: 82).

وفي سورة الأعراف: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) (الأعراف: 102).

وبهذا تؤكد لنا هذه الآيات شناعة فعل الناقضين لعهودهم، وسوء جريرتهم، لخروجهم عن أمر الله وميثاقه.

3- الخسران:

الخسران عاقبة من نكث بعهده ونقض ميثاقه، تقرر هذا آية البقرة التي سبق ذكرها، وهي أول آية في القرآن⁽²⁴⁰⁾ يرد فيها العهد والميثاق: (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

238 - الآية 18 وانظر تفسير الطبري 407/21 حيث ذكر أن الفسق هنا هو الكفر.

239 - أفرقتها بفقرة لأهميتها، وذكرتها بعد الفقرة الأولى مباشرة لاتحاد المعنى مع اختلاف اللفظ.

240 - أول آية في الترتيب لافي النزول.

(البقرة: 27) والخسران هنا بمعنى الكفر⁽²⁴¹⁾ يبين ذلك قوله بعدها مباشرة (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ) (البقرة: من الآية 28) الآية.

وفي آية أخرى وفي السورة نفسها يأتي ما يؤكد أن الخسران مآل من تولى عن أخذ الميثاق كما أمر به الله، ولكن بأسلوب يهز النفس ويوقضها من سباتها، مبيِّناً نعمة الله على بعض عباده حيث رحمهم من أن يكونوا من الخاسرين (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (البقرة: 63، 64).

والخسران أثر رهيب، إذا تأمله المسلم ازداد خوفاً ووجلاً، فإذا كانت خسارة الدنيا يفرّ منها الإنسان فرقا ورهباً، وتترك آثارها على حياته ومستقبله، فكيف بخسران الدنيا والآخرة؟ (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الزمر: من الآية 15).

4- اللعن وقسوة القلوب والطبع عليها:

لما نقض بنوا إسرائيل عهودهم كانت العاقبة شديدة والأثر أليم، فقد لعنهم الله وجعل قلوبهم قاسية، وتبعاً لذلك ضلّوا وانحرفوا عن سواء السبيل (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا) (المائدة: من الآية 13).

وفي سورة النساء يبين سبحانه أنه طبع على قلوبهم جزاء لهم على كفرهم ونقضهم الميثاق (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) (النساء: من الآية 155)⁽²⁴²⁾.

وفي آية أخرى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) (الرعد: من الآية 25).

241 - انظر تفسير الطبري 1/185.

242 - الآية 155 وانظر تفسير الطبري 6/11.

وهذه الآيات بيان من الله للمصير الذي ينتظر الناكثين لعهودهم الناقضين لمواثيقهم، وهو إنذار وتحذير للمؤمنين بل وللناس أجمعين.

5- الإغراء بالعداوة والبغضاء:

أخذ الله الميثاق على النصارى كما أخذه على اليهود، ولكنهم سلكوا مسلكهم وأخذوا طريقهم، فنقضوا الميثاق والعهد وبدلوا في دينهم، وضيعوا أمر الله، فأورثهم الله العداوة والبغضاء، واستحكمت فيهم الخلافات والأهواء فاختلّفوا في نبيهم، وحرّفوا كتابهم، بل وضلوا في ربهم - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - .

ومما يزيد هذا الأثر هولاً، أنها ليست عقوبة مؤقتة بل هي باقية ما بقوا إلى يوم القيامة، وهذا ما نراه ونلمسه قديماً وحديثاً مصداقاً لقول الله ووعيده: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة:14).

6- تحريم الطيبات:

من الآثار التي جناها بنو إسرائيل عقوبة لهم على نقضهم الميثاق، تحريم الطيبات التي أحلت لهم: يقول ابن جرير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: (فَبَطَّلْنَا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَّتِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) (النساء:160).

يعني بذلك جلّ ثناؤه: فحرّمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءه وقالوا البهتان على مريم، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه (حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ) (النساء: من الآية160) طيبات من المأكّل وغيرها كانت لهم حلالاً عقوبة لهم (243).

وهكذا تبدو لنا المعاصي وخيمة في العاجل قبل الآجل والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

7- القتل والتشريد:

243 - انظر تفسير الطبري 23/6.

من الآثار الدنيوية العاجلة التي تحلّ بالخائنين، الناقضين للعهود والمواثيق، أمر الله لنبيه ﷺ إن لقي هؤلاء الخائنين وتمكن منهم، أن يعاقبهم عقوبة يؤدب بها من خلفهم، عقوبة قاسية تتعدى آثارها هؤلاء المجرمين إلى ما يقف خلفهم وبتربص بالنبي ﷺ وصحبه الدوائر، يكون من آثارها تشريد أولئك المتربصين وتفريق كلمتهم وتشتيت شملهم، (الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فِيمَا تَوَفَّقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ) (الأنفال: 56، 57) (244).

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ عندما ظفر ببني قريظة، تنفيذاً لأمر الله من فوق سبع سماوات (245) وأي عقوبة - دنيوية - أشد من هذه العقوبة، إن أخذه أليم شديد.

8- الضلال في سواء السبيل:

من أشد الأشياء على نفس الإنسان وآلمها أن يتيه عن الطريق إذا كان مسافراً، هناك ينتابه القلق، ويحاول البحث عن السبيل بكل وسيلة ممكنة، إذا كان ذلك كذلك فكيف بمن يضل عن طريق الله وينحرف عن الصراط المستقيم؟ إنه أشد قلقاً وحيرة واضطراباً، وهذه النهاية المحزنة تنتظر كل من رفض الالتزام بعهد الله وميثاقه، وهذا ما حلّ ببني إسرائيل لما كفروا بالله وخانوا موثيقه: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (المائدة: من الآية 12) ثم قال في آخر الآية بعد تفصيل الميثاق: (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة: من الآية 12).

9- الخزي في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة:

لما ذكر الله تعالى المواثيق التي أخذها على بني إسرائيل ذكر خيانتهم وغدرهم ونكثهم للعهود والمواثيق، ثم هددهم قائلاً: (أَفْتُؤْمِنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ) (البقرة: من الآية 85).

244 - سورة الأنفال آية: 56.

245 - انظر تفسير الطبري 25/10.

وتأتي الآية التي بعدها مباشرة مؤكدة هذه النهاية المفجعة التي تنتظر هؤلاء الغادرين المتلاعبين: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) (البقرة: 86).

وفي سورة المائدة يأتي الوعيد بأسلوب آخر، فبعد أن ذكر نقض النصارى للميثاق بين عاقبة هذا الأمر فقال: (وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة: من الآية 14). وهذا أسلوب فيه تهديد شديد، وتخويف لكل من تسول له نفسه التهاون بأمر الله ونهيته.

ويبين سبحانه في سورة الأحزاب ما أعدّه للكافرين الذين لم يصدقوا مع الله فيما أخذه على النبيين من عهد وميثاق، إنه النزل الذي يليق بمكانتهم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) (الأحزاب: 7، 8).

10- الموقف المخزي يوم القيامة:

من أشد الآثار إيلامًا، وأقواها تأثيرًا في النفس، ما ذكره سبحانه عن حال الذين يشرون بعهد الله وإيمانهم ثمنًا بخسًا زهيدًا في الدنيا، حالتهم يوم القيامة شر حالة، ومآلم شر مآل، ومصيرهم أسوء مصير، فلا خلاق لهم ولا حجة ولا نصيب ولا قوام⁽²⁴⁶⁾ وأشد من ذلك أن الله لا يكلمهم كلامًا يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف، بل ولا يركبهم ويظهرهم من ذنوبهم وسيئاتهم⁽²⁴⁷⁾ في موقف ينتظر كل إنسان رحمة الله وعفوه ومغفرته، ونهايتهم في العذاب الأليم: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران: 77)

11- السؤال في الآخرة وسوء الدار:

246 - الخلاق: هو النصيب والحجة والقوام. انظر تفسير الطبري 465/1.

247 - انظر تفسير الطبري 320/3.

أسلوب القرآن في عرض أهدافه، ومقاصده أسلوب يأخذ بالألباب، فتارة يصرح وأخرى يكتفي، ومرة يبين ويفصل وحيناً يجمل ويعمم، وهكذا نجد أن الله لما ذكر الناقضين لعهدهم الذي أعطوه بأن لا يولوا من المعركة، ذكر عاقبة هذا التصرف بأنه لن يمر دون سؤال، وهذا الأسلوب أبلغ في هذا المقام من أسلوب التصريح بماهية العقاب وكنهه، إن مقام السؤال أمام الله جل وعلا مقام عظيم ورهيب، وكيف ستكون حال الإنسان الضعيف وهو يقف أمام الباري **عِزُّهُ** ليسأله عن جريرة اقترفها وذنوب عمله: (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّابَّارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) (الأحزاب: 15).

وتصور هذا الموقف كاف للزجر والتهديد. والمصير السيئ ينتظر الناقضين لعهد الله، والنهاية المهلكة مآلهم ومستقرهم، والدار دار سوء لا دار سعادة وفلاح، ولقد حقت عليهم لعنة الله ومقته (وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد: 25).

12- آثار أخرى:

ذكرت فيما سبق أبرز الآثار وأعظمها، وهناك آثار أخرى ذكرها القرآن وصفاً للناقضين لعهدهم، الخائنين لمواثيقهم، رأيت أن أجملها في فقرة واحدة، لاشتراكها في كونها أوصافاً يكتسبها أولئك كأثر من آثار غدرهم وخيانتهم.

فبنوا إسرائيل لما أخذ الله عليهم الميثاق ألا يعتدوا في السبت خانوا وغدروا فكيف كانت عاقبتهم؟ لقد جعلهم الله قردة خاسئين، جزاء لسوء فعلتهم وخسة طباعهم: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (البقرة: 65) وفي الأعراف: (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (الأعراف: 166).

ونفى العقل عن الذين يأخذون كل ما عرض لهم حلالاً كان أو حراماً، مخالفين بذلك ميثاق الكتاب الذي أخذ عليهم، وجاء نفي العقل بصيغة الاستفهام: (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأعراف: من الآية 169).

ومن الصفات التي وصفهم الله بها، أنهم شرّ الدواب، ولقد اكتسبوا تلك الصفة جزاء أفعالهم القبيحة، والجزاء من جنس العمل، والفعل دليل على الفاعل: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) (الأنفال: 55، 56).

وتستمر الآيات في الكشف عن صفات هؤلاء، وتكشف ما خفي من طويتهم وحالهم، فلقد دخلوا في زمن الخائنين: (وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (الأنفال: 58).

وختم تلك الصفات وأعظمها وصفهم بالنفاق، والكذب، والكذب مطية النفاق: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (التوبة: 75-77).

وإذا تأملنا هذه الصفات مجتمعة أو متفرقة شعرنا بخطورة الأمر ومآله، وأدركنا أن نقض العهد كان سبباً مباشراً لما وصفوا به، فوصفهم بالنفاق جاء أثراً واضحاً لاختلاف الوعد: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ) (التوبة: من الآية 77) ووصفهم بشرّ الدواب والخيانة والكذب جاء ثمرة لفعالهم وسوء صنيعهم، وقبل ذلك لما نكث بنو إسرائيل وغدروا جعلهم الله قردة حاسئين.

13- الجناية على النفس:

أنسب أثر أخطم به هذه الآثار التي تنتظر الناقضين لعهودهم، المتلاعبين بمواثيقهم، ما ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) (الفتح: من الآية 10) فالناقض لعده يجني على نفسه ويوبقها، وهذه الآثار هو سببها، وهو حطبها ووقودها.

وإذا تأمل الإنسان هذه النهاية لنفسه، والمصير الذي سيؤول إليه، والظلم الباهظ الذي سيطلب منه، وتذكر أنه لم يظلم بشيء من هذا، ولم يحمل وزر غيره، أدرك خطورة الأمر وفداحة الخطب، وأن الأمر جدّ لا لعب فيه ولا عبث، وأنه لا منجاة له إلا بالوفاء بعهد الله وميثاقه، وأن يعرض على ذلك بالنواجذ، ليجنب نفسه وأمتة الهلاك والبوار وسوء الدار.

وأخيراً:

ففي ختام مبحث آثار نقض الميثاق أشير إلى أن المتأمل لواقع البشرية الآن يدرك المآسي التي تعيش فيها، فهي تنتقل من محنة إلى محنة، ومن نكبة إلى نكبة، دول تعيش في حروب وأخرى في قلاقل وثلاثة تعصف بها الفتن ورابعة وخامسة، مع أننا نجد في مطلع كل يوم معاهدات توقع وعهود تكتب، ونجد أن المنظمات الدولية في ازدياد وتوسع، فهناك الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وقبلها عصبة الأمم، وبعدهما عدم الانحياز وجامعة الدول العربية، وأخيراً المؤتمر الإسلامي، وبين هذه وتلك المنظمة الأفريقية وغيرها. ولم تستطع أي من هذه المنظمات أن توقف حرباً، أو أن تنفذ عهداً أو تحترم ميثاقاً.

وتذكرت كيف كانت تعيش الدولة الإسلامية الأولى وما تلاها من دول إسلامية حقّة، وكيف نعمت وجاراتها باستقرار تحسد عليه، وأدركت أن العهود والمواثيق التي كانت قائمة يومئذ كانت تحترم وتنفذ، فجنى الناس آثارها. أما اليوم فقد سادت شريعة الغاب ودول الذئاب، القوي يأكل الضعيف، لا عهد ولا ميثاق ولا قانون.

ولن يعود للبشرية أمنها واستقرارها إلا بعودتها إلى دين ربها وتحكيم شرع الله ونهجه في الحياة، وهناك يأمن المؤمن والكافر وتحترم العهود والمواثيق، وإلا فمزيداً من الدمار والهلاك والبوار، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

خاتمة

الحمد لله ابتداءً وانتهاءً، وله الشكر على تيسيره وإعانتته وتوفيقه، لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه جل وعلا. وأصليّ وأسلم على خير خلقه، الرحمة المهداة، والنعمة المحتبأة، به أخرجت البشرية من الظلمات إلى النور، وعلى آله وأصحابه، خير القرون وسادة الأمم. وبعد:

ففي نهاية هذا البحث، وخير ختام لفصوله ومباحثه، أذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج، مع الإيجاز غير المخلّ، فأقول مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه:

1- اتضح لي أهمية دراسة بعض القضايا القرآنية دراسة موضوعية، حيث تكشف لنا مثل تلك الدراسة عن جوانب مهمة، يصعب الوصول إليها عن طريق الدراسة التحليلية، وبخاصة إذا كانت هذه القضية من القضايا المستجدة والمرتبطة بواقع العصر كموضوع الميثاق.

2- علمنا أن كلمة العهد تطلق على عدة معاني، وما اشتق من مادة (وثق) يستعمل لأكثر من معنى، ولكن الغالب على استعمالهما ما اتفقا فيه، وهو اليمين والموثق والعهد المحكم، وتعلق الذمة بشيء أو تعلقه بها، فإذا أطلق أي منهما لم يكفد ينصرف إلا إلى ذلك، أما المعاني الأخرى فلا يفسران بها إلا بقرينة تدل عليها.

3- ورد العهد والميثاق في القرآن الكريم في آيات كثيرة وبسور متعددة، وأكثر استعمالها في القرآن الكريم جاء بالمعنى الذي سبقت الإشارة إليه، وما سوى ذلك ورد في آيات قليلة (248) ومن هنا تدرك الأهمية العظمى لذلك المدلول، والأثر العظيم للالتزام به وخطورة نقضه والتفريط فيه، وكثرة ورودها في مواضع في القرآن الكريم، دليل على تلك الأهمية وذلك الأثر.

4- عرضت قضية الميثاق في القرآن الكريم بعدة أساليب، كلها تشدّ النفس وتوقض الحس وتحيي القلوب الميتة.

248 - وذلك خاص بما ورد بلفظ العهد، أو الميثاق فلم يرد إلا بمعنى العهد.

فأكثر الآيات عرضت بأسلوب خبري في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، نجد الإجمال والبيان، والإيجاز والتفصيل والإطناب، وهناك آيات جاءت بالأسلوب الطلبي فهذا أمر وذاك نهي، ومرة بصيغة الاستفهام الإنكاري، وأخرى بأسلوب الاستفهام التوبيخي. ويقف الداعية أمام هذا الأسلوب ليتعلم أن عرض القضية جزء من ذاتها، ويجس بأننا بأمس الحاجة إلى الداعية الذي يحسن عرض دعوته، فكم من داع خانه الأسلوب فنفر منه الناس.

والأمر ليس مجرد كمّ متراكم من النصوص يلقيها المعلم كيفما اتفق، بل إن البحث عن مداخل النفوس، وتحري منعطفاتها ومشاعرها مهمة سامية نتعلمها من القرآن الكريم في أسلوبه الرائع في عرض قضية العهد والميثاق، وليس المراد إقامة الحجة والبرهان فحسب، بل قبل ذلك الهداية هدف جليل وغاية مبتغاة يسعى إليها الدعاة والمصلحون.

5- كما ورد الميثاق في القرآن الكريم فقد ورد في السنة المطهرة، حيث وردت أحاديث صحيحة فيها لفظ العهد وأخرى فيها لفظ الميثاق، وهذا يعطينا دلالة أكيدة على أهمية العهد والميثاق ومدى العناية بهما، حيث كثر ورودهما في الكتاب والسنة، ولم يكن ذلك عبثاً أو حشواً واستطراداً وحاشاهما من ذلك، ولكن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى (249).

6- من التحقيق في معنى الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم تبين أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق عليهم، مشهدا بعضهم على بعض، ومشهداً الإنسان على نفسه، أي أخذ بإقراره، فقال لهم سبحانه وتعالى: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) (الأعراف: من الآية 172) فأجابوا: (بَلَى) (الأعراف: من الآية 172) وهذا قول جمهور العلماء والمفسرين كما سبق بيانه ولا يلتفت إلى قول مخالفهم كالمعتزلة ونحوهم.

249 - هذه العبارة يقصد بها بنية الكلمة، ولكن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

واتضح لنا أن هذا الميثاق ليس كافيًا لإقامة الحجّة على الخلق، بل إن الحجّة تقوم بإرسال الرسل وإنزال الكتب: (لئنَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء: من الآية 165). (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء: من الآية 15).

ولا تناقض بين الفطرة والميثاق، فلكل منهما دلالة ومعناه. ويشعر المسلم بوجوب الوفاء بهذا الميثاق الذي أخذه الله عليه في صلب أبيه آدم، حيث تأكد ذلك وتحقق برسالة نبينا محمد ﷺ - فلم يعد هناك عذر لمعتذر، أو حجة لجاحد أو غادر.

1- أخذ الله الميثاق على النبيين، والذي نفوا ذلك وقالوا إن الميثاق أخذ على أمم النبيين لا على النبيين أنفسهم، أولوا الآية وجانبوا الصواب.

وهذا الميثاق هو أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضًا، وينصره، ويأخذوا ذلك على أممهم، وقد أقرهم الله بذلك فأقروا به، وأعطوا العهد عليه، وأشهدهم على ذلك فشهدوا. وهذا الميثاق أخص مما أخذ عليهم في ظهر آدم مع الذرية.

2- وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين أخذ العهد على بني إسرائيل، بعضها مجمل وبعضها مفصل، حيث أخذ الله عليهم العهد بأن يؤمنوا بما في التوراة جملة، ويعملوا بما فيها تفصيلاً، كما أخذ عليهم الميثاق بأن يؤمنوا بالرسول ﷺ إذا بعث، وأن يتبعوه، وأن يبينوا أمره للناس.

هذا هو الميثاق العام، ثم أخذت عدة موثيق خاصة تؤكد هذا الميثاق وتبينه، وبعضها يخص قوماً من بني إسرائيل دون آخرين.

ويقف المسلم مندهشًا حائرًا أمام هذا الجنس من البشر، قوم كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء، لا عهد لهم ولا ميثاق، آذوا موسى وهو منقذهم من فرعون وقومه، وأعطاهم الله أعظم الآيات فكفروا، ووهبهم أعظم النعم فجحدوا، وتوارثوا الغدر والمكر والخيانة منذ موسى - عليه السلام - إلى يومنا الحاضر، وآيات العهد والميثاق لنا فيها أعظم العبر والدروس، حيث تكشف لنا عن طوية هؤلاء وسوء أخلاقهم، وأهم لا أمان لهم ولا وفاء.

ومن العجب أننا نجد من بني قومنا وممن يتكلمون بلغتنا ويتسبون إلى ديننا، نجد من يسعى جاداً إلى إقامة المعاهدات مع بني إسرائيل، وكتابة المواثيق معهم، وكأنه لا يقرأ كتاب الله، ولم يعرف التاريخ، ولا يتعظ بتجارب البشر، إنني وأنا أسمع وأرى هذا السباق المحموم بين بني يعرب للتقرب من يهود وإقامة العلاقات معهم، ظناً أنهم سيأمنون شرهم، ويكونون في وقاية من غدرهم، أتساءل هل هؤلاء سيكونون أكرم عند اليهود من موسى - عليه السلام -؟ لا، وألف كلا، موسى نبينهم ورسولهم ومنقذهم ومن بني جلدتكم، ولم يدخر وسعاً لهدايتهم وجلب الخير لهم، ومع ذلك فعلوا به الأفاعيل، وأنبيأؤهم من بعد موسى ماذا فعلوا بهم؟، فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، إذا كان هذا شأنهم مع أنبيائهم كيف سيفعلون بأعدائهم؟.

وسنن الله لا تتخلف، ولكن أين المؤمنون وأين المعتبرون (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (الحشر: من الآية 2) وهذا درس عظيم من دروس العهد والميثاق، يجدر بنا أن نفيد منه أيما إفادة قبل فوات الأوان، وحلول الذل والهوان.

3- بايع رسول الله ﷺ - صحابته في عدة مناسبات وهذه هي العهود والمواثيق التي ذكرها الله في أكثر من آية، حيث خصّ بعضها بالذكر كبيعة الرضوان وعمّ آخر خسائر المبايعات.

وقد بايع رسول الله ﷺ - صاحبه - وأخذ عليهم العهد في بيعتي العقبة، وبيعة الرضوان، وبايعهم على الإسلام، وبايع النساء بيعة خاصة.

كما بايع بعض صحابته على الجهاد، وآخرون على السمع والطاعة. وبايع بعضهم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم.

هذه هي أهمّ المبايعات والعهود التي أخذها ﷺ على صحابته، بعضها عام، وبعضها خاص. ومما يجدر التنبيه إليه هنا ما ذكره سبحانه في سورة الأحزاب مادحاً أصحاب تلك العهود والمواثيق ومثنيّاً عليهم: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: 23) .

نعم لقد وفى صحابة رسول الله ﷺ بعهودهم، والتزموا مواعيقهم، ولم يكونوا كيني إسرائيل الذين أصبحت الخيانة والغدر من سماتهم وأبرز سجايهم وطباعهم.

لقد كان من وفاء أصحاب رسول الله ﷺ أن أحدهم يسقط سوطه وهو راكب على دابته فينزل ليأخذ سوطه ولا يطلب من أحد أن يناوله، لأنه بايع رسول الله ﷺ على ألا يسأل الناس شيئاً أعطوه أو منعه (250).

هذه هي الطاعة وهذا هو الوفاء، وبمثل هؤلاء تسعد البشرية وتصل إلى مدارج الرقي وسمو الأخلاق، لقد كان جيلاً قرآنياً فذاً، لم تعرف البشرية جيلاً كذلك الجليل، ولا صفوة كتلك الصفوة، (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ) (الأنعام: من الآية 90) (وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر: من الآية 18).

4- عقد رسول الله ﷺ - عدة عهود مع اليهود، أبرزها عندما قدم المدينة، ومن آخرها ما كان في خيبر. ولكن اليهود هم اليهود، لا يستقيم لهم عهد، ولا يبقى معهم ميثاق، وكما غدروا بنبيهم موسى - عليه السلام - فقد خانوا رسول الله ﷺ فلم يعرف على مدار التاريخ أن اليهود وفوا أو حافظوا على ميثاق وبخاصة إذا واتتهم الفرصة للتقوض فلا يدعونها تمر أبداً، وما يعرف من يسير وفائهم (251) فسببه ضعفهم وعجزهم وقوة خصمهم، وحيث لم تسنح لهم فرصة للغدر والخيانة. وأكرر وأؤكد في هذه الدراسة أننا بأمس الحاجة إلى معرفة طبائع اليهود وسوء طويتهم، فهذا دين لا نعذر بجهله أو التفريط فيه، لما يترتب على الجهل من مفاصد عظيمة، وخسائر جسيمة، في الدين والعرض والمال.

5- تبين لنا أن رسول الله ﷺ - أبرم عدة عهود مع المشركين، كان أبرزها وأهمها ما تم بين المسلمين وبين قريش في غزوة الحديبية، كما أنه عقد عدة معاهدات مع غيرهم كخزاعة ومدلج وقبائل بني بكر، وهذه العهود هي التي أشار إليها القرآن في سورة التوبة، كما أشار إليها في سورة النساء، مما سبق بيانه.

250 - نظر عون المعبود شرح أبي داود، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة 55/5.

251 - كالعهد الذي عقد معهم في خيبر بعد فتحها إلى إجلاء عمر - رضي الله عنه - لهم.

وقد اتضح أن بعض المشركين وفى بعهدده وميثاقه وبعضهم خان الله ورسوله فلقي جزاءه.

6- كتب رسول الله ﷺ عدة كتب لبعض قبائل المسلمين، وقبائل أخرى من العرب غير المسلمين، كما كتب لبعض اليهود وبعض النصارى، وقد تضمنت هذه الكتب بعض العهود والمواثيق بين الرسول ﷺ - وأولئك، مما يعطي دلالة على استقرار الدولة المسلمة وقوتها، حتى إن القبائل أصبحت تخطب ودها والأمان منها، بل والحماية ضد أعدائها، وهذا أثر فعال للعهود والمواثيق، إذا سادت بين الدول والمجتمعات - وتم الوفاء بها - حلّ الوثام والسلام، بدل الحرب والخصام.

7- أشرت إلى أنه لم يكن للمنافقين عهود خاصة، وإنما كانوا يعطون العهود مع المسلمين كأفراد منهم - ظاهراً - وما أشار إليه القرآن من نقضهم للعهود حدث منهم بطرق ملتوية وبأساليب متعددة، ولقد ذكر القرآن تلك الأساليب دون التصريح بأسماء من قام بها، مع بيان أهم من المنافقين.

8- استعمل مصطلح العهد والميثاق في عدة مجالات، ولقد شدّ انتباهي كثرة هذه المجالات وأهميتها، وكيف أن العهد والميثاق جاء ليقرر مبادئ عظيمة، سعدت بها البشرية ماضياً وحاضراً، وتسعد بها مستقبلاً، وذكرت أن من أبرز تلك المجالات ما يلي:

1- العقيدة هي أساس وجود الخلق، ولا خير في حياة بدون إيمان، وهل الظلمات إلا الكفر والفجور، وما النور إلا الإيمان والتقوى. ولهذا جاء العهد والميثاق مقررًا هذه الحقيقة وملزمًا البشرية بتحقيق عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، وداعيًا للإيمان به ﷻ والعمل بما في كتب الله المنزلة، حيث تعمل كل أمة بكتابها، فكتب الله يصدق بعضها بعضاً، والمتأخر ناسخ للمتقدم ومصدق به، ولا تعارض في ذلك ولا تضاد.

كما أن الإيمان بالرسول من صميم عقيدة المسلم، فجاء العهد والميثاق في هذا المجال، طالبًا الإيمان بالرسول عمومًا وبالنبي المرسل خصوصًا فبعضهم يؤمن ببعض، فالمتقدم يبشر

بالتأخر والتأخر يصدق المتقدم، ويعترف به، لا يستقيم الإيمان إلاً بذلك. والشرائع المنزلة كلها من عند الله، نؤمن بالمتقدم منها إجمالاً، وبالتأخر تفصيلاً. هكذا جاءت العهود والمواثيق في القرآن الكريم تؤصل هذا الجانب وتؤكدده، وتدعو الناس للاهتمام بجانب العقيدة وتحقيقها في عالم الوجود.

2- أمر المسلم بالعبادة، أصولها وفروعها، وقد أخذ الله الميثاق على الناس بأن يعبدوه، وذلك بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرهما من أنواع العبادات التي شرعها الله، وقد ورد مصطلح العهد والميثاق مبيناً أهمية هذا الجانب ووجوب العناية به، ومحذراً من التفريط فيه أو الإهمال، فذلك نقض للعهد والميثاق، وعاقبته وخيمته، ومآل صاحبه إلى الخسران والهلاك.

3- الأخلاق سرّ من أسرار بقاء الأمم ودوامها، وفقدانها سبب لدمارها وفنائها. والخلق الحسن سمة بارزة في جبين الفرد، يقوده إلى مدارج العزّ والخلود. وهذا المجال واسع رحب له آثاره ومزايه، لذلك جاءت العهود والمواثيق محتفية بهذا الجانب ومؤكدة عليه، فوردت آيات كثيرة من آيات العهد والميثاق مشتملة على بيان أخذ الله العهود على البشر، ليلتزموا بالأخلاق الفاضلة ويبتعدوا عن أي خلق ذميم، على مستوى الفرد والجماعة.

4- من مآسي العالم في عصرنا الحاضر - وما أكثر مآسينا - عدم احترام العهود والمواثيق التي تبرم بين الدول، فكم من اتفاقية وقعت، وعهود كتبت، لم تزد أن تكون حبراً على ورق، وهذا سبب القلائل والفتن والحروب. والإسلام يأبى هذه الأخلاق، ودين الله يدعو إلى الوفاء وحسن الجوار.

ومن هنا جاء مصطلح العهد والميثاق في مجال العلاقات الدولية ليرسم للبشرية ما يجب أن تكون عليه سياسة الدول، بعيداً عن الغدر والخيانة وأخذ الناس الآمنين على حين غرة. وبهذا تسعد البشرية، وتعيش في أمن يسود حياتها، ويتيح لها أن تتقدم في جميع شؤون الحياة ومجالاتها، بعيداً عن الخوف والهلع، وتوقع الغدر والخيانة.

5- كما جاءت العهود والمواثيق في مجال العلاقات بين الدول، فد وردت في مجال المعاملات بين البشر، وكما أخذ العهد بوجوب الإيمان بالله، وتصديق رسله، فقد جاء ليرسم للناس أسلوباً في تعاملهم وحسن تقاضيتهم، بعيداً عن الالتواء والتربص وسوء الطويّة، وهذا من عظمة هذا الدين وسمو أهدافه وغاياته، واحتفائه بالفروع كاهتمامه بالأصول.

6- في القضايا الاجتماعية وما يكون بين الأسر والأفراد أمور تحتاج إلى عناية ورعاية، ولذلك فقد كان للعهد والميثاق أثر فعال في حسن النظر ومراعاة هذا الجانب المهم في حياة الناس، والتساهل أو التهاون في ما يتعلق بحياة الناس الخاصة وأمور أسرهم يؤدي إلى فساد المجتمعات ومن ثمّ دمار الدول، ولذلك فقد جاءت آيات كثيرة تبين للناس النمط السوي في محيط القضايا الاجتماعية والحياة الأسرية، محذرة من أي خلل أو تصدع في هذا الكيان، مؤكدة ذلك بالعهد والمواثيق صيانة وحماية للأمة أفراداً وجماعات.

ما أروع هذا الدين وما أشمله وأكمله، كم يحسّ المسلم بسعادة وهناء وهو يرى مدى اهتمام الإسلام بأخص شئونه وأدقها، بل ويؤخذ عليه العهد والميثاق ضماناً لاستمرار سعادته، وحماية له من الشقاء والعناء.

7- لا حياة للأمة بدون الجهاد في سبيل الله، وأي أمة تدع الجهاد أمه تعيش الذل بأبشع صوره، الجهاد يحمي الدين والنفوس والعرض والنسل، والمال، يحمي البلاد والعباد.

الأمة المجاهدة لها العزة والرفعة والمنعة ولهذا فقد جاء العهد والميثاق في مجال الجهاد في سبيل الله ليرتفع بالبشرية عن مهاوي الردى ونوازع الهوى، ناعياً عليها التثاقل في الأرض أو الركون إلى شهواتها وملذاتها، وليطلب الموت من أراد أن توهب له الحياة، ومن وقي ببيعه وقي الله له عهده (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) (التوبة: من الآية 111).

8- لا خلاف ولا نزاع في وجوب الوفاء بالعهد والميثاق، وآيات الكتاب وأحاديث المصطفى ﷺ صريحة بذلك، كما هي صريحة بجرمة نقض الميثاق أو الإخلال بالعهد،

وتوعّد الله بأقسى العقوبات للناقضين عهودهم وموآثيقهم، وصريح المعقول يوافق صحيح المنقول على وجوب الوفاء بالعهود والموآثيق.

9- الوفاء بالعهد والالتزام بالميثاق صفات كرام الرجال وخيارهم، والآثار الحسنة التي تعود على الموفين بعهودهم وموآثيقهم لا تعدّ ولا تحصى، منها الآثار التي يجنونها في الدنيا، وأعظم منها ما يحصل لهم في الآخرة، وإذا عظم المطلب فالجزاء أعظم. إن من أعظم الآثار نعمة الإيمان، ولا يعرف قدر الإسلام إلا من عرف الكفر وماآسيه (252).

والتقوى ومحبة الله للمتقين جزاء من ربك عطاء حساباً للملتزمين بعهودهم المحافظين عليها. الأمن في الأوطان مطلب عزّ مناله، لكنه حاصل لمن عرفوا قدر الموآثيق وراعوا حقها، فلهم الأمن والحياة الطيبة والجزاء الحسن والأجر العظيم، وفي الآخرة يكفر الله عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنات، ما أعظم هذه الآثار وأزكارها، وما أجدر بالبشرية الحائرة أن تنشُد السعادة من معينها فقد طال شقاؤها.

في الإسلام تجد الطمأنينة وفي ظلال الإيمان تعيش الحياة الوارفة، تصون دماءها وتحمي دمارها، هذا في الدنيا، أمّا في الآخرة فرب كريم، ونزل عظيم، وحياة أبدية في جنات النعيم.

10- آثار نقض العهد والميثاق مدمرة ومفجعة، بعضها عاجل وبعضها آجل، شيء منها يجلّ بالفرد وآخر يلحق بالأمة، جزاء وفاقاً. الكفر صفة للناقضين عهودهم، والفسق ديدنهم، والخسران نهايتهم، واللعن في انتظارهم، قلوبهم قاسية قد طبع الله عليها، فأغروا بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

حرمت عليهم الطيبات في الدنيا، والنار مصيرهم في الآخرة. القتل والتشريد جزاؤهم لقاء غدرهم وخيانتهم وضلالهم عن سواء السبيل. يعيشون في الدنيا بخزي أبدي، وفي الآخرة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم. هم شرّ الدواب وشرار

252 - المعرفة هنا لا تعني كونه كافراً قبل ذلك، بل هي أعم فقد يولد مسلماً ولكنه عرف الكفر من أوجه أخرى كمعرفة بالكفر مثلاً.

الخليقة، ولذا فبعض الناقضين عجلت عقوبتهم فأصبحوا قردة وخنازير لغدرهم وخيانتهم. والناقض عهده يجني على نفسه وأمته ويرديها.

إن أثرًا واحدًا مما مضى كافيًا للزجر والتهديد، فكيف بهذه الآثار مجتمعة أو بعضها مما ينتظر الناقضين لعهودهم. إن البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى الاستقرار والسعادة بعد طول شقاء وعناء. والمنقذ لها من ذلك كله هو التمسك بجبل الله والوفاء بعهده والالتزام بميثاقه، وأن يكون الإسلام هو المهيمن على شئون الحياة دولا وأفرادًا.

فقد عشت فترة قصيرة مع هذا الموضوع، ومع كتاب الله فلو قضى المسلم عمره مع القرآن الكريم فلا يعدو أن يكون لحظة في عمر الزمن.

ازداد إيماني - ولم يكن ضعيفًا والحمد لله - بأن هذا القرآن هو المنقذ للبشرية من واقعها المرير، فيه النور والبرهان، فيه المخرج لأزماتها، والحلول لمشكلاتها، لا الشرق ينقذنا، ولا الغرب ينفعنا، وإنما كتاب الله هادينا وقائدنا.

أدركت من خلال هذا البحث كم في القرآن الكريم من كنوز مجهولة، ودرر مغمورة بالنسبة لكثير من المسلمين، ولذلك تحببوا في حياتهم في الظلمات والنور بين أيديهم، يبحثون عن الهدى والهدي في حوزتهم، إن هذا القرآن منهج للبشر، كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

شدّ انتباهي وأنا أعيش بين آيات الميثاق معايشة هذا القرآن العظيم لحياة الناس لحظة بلحظة وساعة بساعة، موجهًا ومنقذًا، ومبشرًا ومعاقبًا ومعاقبًا، يحيط بالناس بعنايته، ويخونو عليهم برعايته، هذا يَعِدُهُ وذاك يتوعّده، وآخر يعلمه ويربيه. إنها دعوة صادقة مخلصنة أوجهها لأمتي عمومًا وللعلماء خصوصًا بأن نعود إلى كتاب ربنا ومنهج حياتنا، نتفيء في ظلاله وتسعد البشرية الحائرة، فقد طال بلاؤها وزادت تعاستها، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

اللهم لك الحمد حمدا طيبا مباركا لا ينبغي إلا للجلال وجهك وعظيم سلطانتك علي ما أوليتنا من نعم لا تعد ولا تحصى. لك الحمد ربي على ما تفضلت وأنعمت ووفقت،

أشكرك مع كل حرف أخطه وكلمة كتبتها وجملة أصوغها، أشكرك مع كل نسمة هواء تمدني بالحياة، وكل نقطة دم تجري في عروقي، وقطرة ماء تسير في أحشائي، تذكركني بأنك الخالق الواحد لا رب لي سواك.

إنك بعفوك وفضلك ورحمتك يسرت لنا أمر الإسلام والايان بك -يسرت لنا أداء البحث هذا الفضل منك- وألهمنا جلال الموقف بين يديك - وعظمة ما نطلب ونرجو منك - وأن نستشعر هول الخطب الذي نحن فيه وما أردنا فيه أنفسنا بالخطأ والجهل والنسيان والتقصير والذنوب - حتي نلتزم ونرقى إلي درجات القرب منك ونسعدبالاجابة ونكون أهلا لها بالفضل لا بالعدل منك (والله ذو الفضل العظيم اللهم آتنا من لدنك يقينا يثبتنا عند البلاء حتى لا نكون ممن يئسوا من رحمتك وصبرا يعيننا علي احتماله و تجاوزه و يكون سببا في رضاك عنا رضا يغنينا عن رضا من سواك و أفض علينا نورا من فيض نورك يضئ لنا ويهدينا إليك حتى لا نضل ونشقي وحبنا لك يجعلنا دائما حيث أمرتنا و ببعدنا عمنا حيث نهيتنا

اللهم أماننا القدرة علي قضاء ما نستطيع من حوائج الناس بما وهبتنا من قدرات حبا وتقربا إليك دون التفات الي شكر أو نكران منهم حتى نكون من الآمنين من عذابك يوم القيامة

اللهم هب لنا من صفاء النفس ما يجعلنا نكظم غيظنا ونعفوا عمنا ظلمنا ونحسن إليه مسارعة منا إلى مغفرة ورضا منك وتوبة خالصة إليك تقبلها منا تمحوها بها ذنوبنا وترضي بها عنا وتمنحنا بها عفوك ورحمتك وتدخلنا بها جنتك

اللهم هيب لنا من امرنا رشدا و آتنا من لدنك حكمة تعيننا علي محاسبة أنفسنا قبل أن يحاسبنا الناس أو نحاسبهم و نري فيها عيوبنا لننشغل بإصلاحها عن عيوب الناس وندعوك ضارعين ألا تأخذنا العزة بالإثم إذا وجدنا أنفسنا في أمر يبعدنا عنك أو إذا قيل لنا اتقوا الله وان نعود إليك دائما من قريب تائبين منيبين ضارعين صادقين

اللهم يارب كما أنعمت علينا بنعمة الإسلام انعم علينا بنعمة الثبات على الإسلام ولا

تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا وتوفنا وأنت
راض عنا

اللهم أمنحنا القدرة علي أن نستوعب متغيرات و مستجدات الحياة استيعابا إيمانيا يقربنا
إليك غير مفتونين بها و لا ضالين أو مضلين بها وان نستطيع بعون وهدى منك أن نحقق
مراداتك منا فيها

اللهم أن قلبي موقن و مؤمن ومطمئن بأن ما قدرته وما شئته هو خير ونعمه لي وان كان
عقلي قد لا يدرك ذلك الخير وهذه النعمة فلا تجعل عدم إدراكي لهذا الخير يمنعني من
التأدب في استقبال نعمتك وحسن أداء الشكر عليها

اللهم أرزقنا الشهادة عند الموت

اللهم أجعل القرآن العظيم نورا وهدى ورحمة لنا في الدنيا والاخره وأجعله أنيسا لنا في
قبورنا وأجعله شفيعالنا يوم الحساب أسترنا في الدنيا والاخرة ولا تفضحنا وسامحنا وعاملنا
بفضل جودك وكرمك وأحسانك ولا تعاملنا بما نحن أهل له وعاملنا بما أنت أهل له

اللهم أغفر لي وأغفر لوالدي ووالدي وجميع المسلمين الاحياء منهم والاموات

وصل اللهم علي محمد النبي وأزواجه وذريته وأهل بيته كما صليت علي إبراهيم وعلي آل
إبراهيم إنك حميد مجيد سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين.

الفهارس: وهي التي تخدم البحث وتسهل الاستفادة منه 136

- 1- فهرس الآيات القرآنية 137/142
2- فهرس الأحاديث النبوية 143/144
3 - فهرس الموضوعات 145/148
4- فهرس المصادر والمراجع 149/150

11- صفحة (قرارات توصية اللجنة) وتوقعات لجنة المناقشة 151 □

□□

□

1- فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	ة
--------	-------	---

سورة البقرة

22	(27)	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ	1
22	63	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	2
22	83	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ	3
22	84	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ	4
22	93	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِعَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	5

23	187	<p>وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِعَسَ مَا يَشْتَرُونَ</p>	6
22	81	<p>وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ</p>	7

23	154	وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	8
23	155	فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا	9
23	21	وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	10
23	90	إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ ..	11
23	92	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	12

سورة المائدة

24	12	وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ	13
24	13	فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	14
24	70	لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ	15
23	7	وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ	16
24	14	وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	17

سورة الأعراف

24	169	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِيرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	18
----	-----	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----

سورة الأنفال .

24	72	<p>إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ</p>	19
----	----	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----

سورة يوسف .

25	66	<p>قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتِنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ</p>	20
25	80	<p>فَلَمَّا اسْتِيَأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ</p>	21

سورة الرعد .

25	25	<p>وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ</p>	22
25	20	<p>الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ</p>	23

سورة الأحزاب

25	7	<p>وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا</p>	24
----	---	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----

سورة الحديد.

25	8	وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	25
----	---	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----

2- فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث أو الأثر
35	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا. [حسب الصفحات].
93	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ
35	أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: تَمَّتْ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ التَّفَاقُ، حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ - . تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ.
104	مَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
105	عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
105	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلَا يَحْلُنُّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدُّهَا، حَتَّى يَنْقُضِي أَمْدَهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ.
95	حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ

95	وقال - صلى الله عليه وسلم: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».
----	---------------------------------------------------------

95	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.
56	والله ، لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني.
35	عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، وعن قتادة ، عن الأسود بن سريع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أربعة يوم القيامة ، الأصم الذي لا يسمع شيئاً ، والأحمق ، والهرم ، ورجل مات في الفترة قال : فيقول الأصم : رب ، جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، ويقول الأحمق : جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ، ويقول الهرم : جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، ويقول الذي مات في الفترة : ما أتاني لك رسول ، فيأخذ موثيقهم ليطيعنه
44	أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أنتبدأ الأعمال أم قضي القضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل أخذ ذرية آدم من ظهره ، وأشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيه ، فقال : هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار »
36	حديث الرجل الغني الذي جمع أولاده قبل موته وطلب منهم أن يحرقوه.
56	عن جابر عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال : « والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين »

4- فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
1	الميثاق في القرآن الكريم
2	معلومات
3	قال الله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (20)، (العنكبوت).
5	شكر وتقدير
5-6	اهداء
7-10	المقدمة
11	سبب اختيار الموضوع

12.17	رسالة الماجستير (الميثاق).
18	المبحث الأول: الميثاق في القرآن.
19.21	المطلب الأول: الميثاق في اللغة.

22.34	المطلب الثاني: الميثاق في القرآن (كلمة الميثاق ومعناها في القرآن الكريم).
35.36	المطلب الثالث: الميثاق في السنة النبوية الشريفة (كلمة الميثاق في الأحاديث النبوية).
37.41	المطلب الرابع: الأسلوب القرآني في عرض قضية الميثاق. 1- الاستفهام. 2- الإجمال والبيان. 3- الخبر. 4- الأمر. 5- النهي
42	المبحث الثاني: المواثيق التي وردت في القرآن الكريم .
43.52	المطلب الأول: الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم عليه السلام 1- الأحاديث 2- الآثار الواردة عن السلف. 3- أقوال المفسرين .

53.60	المطلب الثاني: الميثاق الذي أخذه الله على النبيين
61.69	المطلب الثالث: الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل
70.74	المطلب الرابع: المواثيق التي جرت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم على صحابته
75/76	المبحث الثالث: مجالات استعمال مصطلح الميثاق
77/90	المطلب الأول: في العقيدة.

	<p>1- الإيمان بالله سبحانه وتعالى.</p> <p>2- الإيمان بالكتب المتزلة.</p> <p>3- الإيمان بالأنبياء والرسل.</p> <p>4- الإيمان بالشرائع المتزلة.</p>
91/93	المطلب الثاني : في العبادات
94/98	المطلب الثالث : في الأخلاق
99/103	المطلب الرابع : المعاملات. -القضايا الاجتماعية.
104	المبحث الرابع : الوفاء بالميثاق
104/105	المطلب الأول : حكم الوفاء بالميثاق. 1- الآيات. 2- الأحاديث.
106/113	المطلب الثاني : آثار الوفاء بالميثاق. 1-الإيمان. 2-التقوى. 3-محبة الله. 4-حصول الأمن في الدنيا وصيانة الدماء. 5-الحياة الطيبة والجزاء الحسن والأجر العظيم. 6-تكفير السيئات وإدخال الجنات.
114/123	المطلب الثالث : آثار نقض الميثاق.
114/123	1-الكفر ونفي الإيمان. 2-الفسق . 3الخسران.

	<p>4- اللعن وقسوة القلوب والطبع عليها.</p> <p>5- الإغراء بالعداوة و البقضاء</p> <p>5 -تحريم الطيبات.</p> <p>6 -القتل والتشريد.</p> <p>7 -الضلال في سواء السبيل .</p> <p>8-الحزبي في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.</p> <p>9-الموقف المخزي يوم القيامة.</p> <p>10-السؤال في الآخرة وسوء الدار.</p> <p>11-آثار أخرى.</p> <p>12-الجناية على النفس.</p>
124/135	الخاتمة
117	الفهارس
-118	فهرس الآيات القرآنية
123	

143/144	فهرس الأحاديث النبوية
145/148	فهرس المواضيع
149/150	فهرس المصادر والمراجع
151	صفحة (قرار توصية اللجنة) وتوقعات لجنة المناقشة

- فهرس المصادر والمراجع

1	المصحف الشريف.
2	تفسير الرازي.
3	تفسير الماوردي
4	تفسير الطبري.
5	تفسير القرطبي
6	التحرير والتنوير.
7	تفسير بن كثير
8	تفسير الكشاف

9	تفسير الثعالبي
10	تفسير المنار
11	البحر المحيط
12	اضواء البيان
13	تفسير وهبة الزحيلي
14	لباب التأويل
15	كتب الأستاذ ناصر العمر
16	روح المعاني

زاد المسير	17
لسان العرب	18
تهذيب اللغة	19
مسند الإمام أحمد	20
صحيح البخاري	21
شرح العقيدة	22
موطأمالك	23
مجمع الزوائد	24

شرح أصول عقائد أهل السنة والجماعة	25
البداية والنهاية	26
سيرة بن هشام	27
المعجم الوسيط	28
سنن الترمذي	29
معجم مقاييس اللغة	30
بصائرذوي التمييز	31

المشكاة	32
الصحاح	33

- صفحة (قرارات و صية اللجنة) وتوقيعات لجنة المناقشة

-1

-2

-3

الثلاثاء 29 شوال 1432 هـ - 27 سبتمبر 2011 م